الحياة اليومية لمتصوفة العصر المرابطي من خلال كتب المناقب والتراجم

أ. هشام البقالي

وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي

طنجة – المملكة المغربية

Hicham_albakali@hotmail.fr

تاريخ الإرسال 2019/04/22	تاريخ القبول 2019/07/07	تاريخ النشر 2019/09/30

الملخص:

يسعى المقال تبيان جوانب من أعمال متصوفة العصر المرابطي بالمغرب والأندلس، ذلك أن هذه الفئة انتشرت بشكل لافت في العصر المدروس، وقامت بأعمال تجاه المجتمع منقطعة النظير، فقد تفاعل المتصوفة مع قضايا المجتمع في مجالات عدة، من ضمنها ما كان متعلقا بالجانب الاجتماعي.

والحاصل أن هذا العمل التعاوني، هو عنوان انفتاح الصوفية على الواقع، واهتمامهم بالشأن المعيش للأفراد، باعتبار أن ذلك لا ينفك عن العمل التربوي، فالعمل الاجتماعي بالنسبة للصوفي هو وسيلة للرقي في مدارج المقامات، وسبب لتصفية الباطن من قيود المادة، كما أن العمل التربوي قد يتجلى عن طريق العمل الاجتماعي، قصد تربية السالكين على النفع والعطاء تجاه المسلمين.

الكلمات المفتاحية: التصوف- العمل الاجتماعي- العصر المرابطي.

Summary :

The article seeks to show aspects of the mystical works of the Almoravid era in Morocco and Andalusia, since this chapter has spread remarkably in the studied age and has performed works towards the society unrivaled. The Sufis have interacted with the issues of society in various fields, including what was related to the social aspect.

The fact that this cooperative work is the title of the openness of Sufism to reality and their interest in the living affairs of individuals, considering that this is inseparable from the educational work. Social work for the Sufis is a means of upgrading the runways of the Maqamat. Is manifested through social work, in order to educate the righteous about the benefit and tenderness towards Muslims.

key words: The Almoravid Age -social work - Sufism

مقدمة: مما لا مراء فيه أن الدور الاجتماعي يعد من أهم الأدوار التي اضطلع بها الأولياء والمتصوفة في تاريخ المغرب والأندلس؛ ذلك أن هذا الدور يعكس توجهات المجتمع وهمومه، وقد ارتبط الدور للصوفي بالكرامة الصوفية من جهة، وحرص المجتمع على أن يكثر أولياؤه من جهة ثانية، إذ بكثرتهم تعطاه فرص الخلاص من النوازل المحتملة [1]. فالدور الاجتماعي يؤكد مكانة الصوفي في وسطه المجتمعي مهما تباينت طبيعة هذا المجتمع، إذ إن الدور الاجتماعي الذي يلعبه المتصوف يجعل منه ضرورة من ضروريات الحياة اليومية للإنسان [2].

ولتبيان هذا الدور اعتمدنا بالساس على مادة تاريخية مستقاة من كتب المناقب والتراجم التي ارخت لرجال التصوف في العصر المدروس.

إن المتأمل لكتب المناقب والتراجم التي أرخت لمتصوفة العصر المرابطي يتضح له الدور الكبير الذي لعبه هؤلاء في المجتمع، حيث لا نكاد نجد ميدانا من ميادين الحياة الاجتماعية العامة إلا وتدخل فيه الولي ومارس فيه تأثيره، إذ أن دورهم داخل المجتمع يبرز على أكتر من مستوى [3].

فما هي الأدوار الاجتماعية التي قام بها متصوفة العصر المرابطي، والتي جعلت العوام يلتجؤون إليهم كلما حاق بهم مكروه؟.

1- الإيواء وإطعام المحتاجين والتصدق على الناس:

اشتهر الأولياء والمتصوفة بإطعام الطعام للوافدين وعابري السبيل والمقيمين على السواء؛ ومتصوفة وأولياء العصر المرابطي لا يحيدون عن هذه القاعدة، فقد قاموا بأدوار هامة في هذا المجال.

ففي هذا الصدد نجد أن متصوفا قد جمع الفقراء بجامع علي بن يوسف "فأخرج قمحا وسمنا كان عنده ففرقه عليهم حتى لم يبقى له منه شيء" [4]، وبالمثل قام آخر بحشد العديد من المحتاجين وذلك أثناء مجاعة **535هـ/ 1140**م "فكان يقوم بمؤونتهم، وينفق عليهم ما يصطاده من الحوت وغيره إلى أن أخصب الناس" [5]، كما اضطرت امرأة إلى بيع بيتها لأحد الأولياء بثمن بخس وذلك لتقاوم مجاعة حلت بالمنطقة التي تقيم فيها، وفيما بعد قام هذا

الولي [6] بإعادة المنزل إلى صاحبته، وكان القصد منه بأن المال الذي دفعه إليها كان بغرض إعانتها في المجاعة [7]. وكان الولي محمد بن عبد الله البكري يُطعم ويُضيف الناس حتى أنه "أضاف قوما أعواما" [8]، وبالمثل كان محمد بن سعدون القروي "كثير الإنفاق ويُطعم الناس ويُنفق عليهم" [9]. وهذا أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان يصفه الضبي في بغيته بأنه "كان ملجأ للفقراء والمساكين" [10]، وقد "باع أملاكه وتصدق بها على الفقراء، وقد وصل ثمنها إلى أربعة وعشرين ألف دينار" [11].

ويذكر ابن الزيات أن المتصوف أبا الحسن علي بن خلف بن غالب قد ورث "اثني عشر ألف دينار، فخرج عنها كلها تورعا" [12]، أما نصر بن الحسن فقد كان "منطلق اليد بالعطاء كثير الصدقات" [13]، في حين "لم يكن قبله ولا بعده بمرسية إلى الآن أكثر صدقة منه، ولم يزل كذلك طول حياته إلى أن توفى" [14]. ومن ذلك ما ذكره الضبي: "أخبرت عنه أنه اشترى ذات يوم فرساً في السبيل لبعض المجاهدين بثمن كثير، واجتمع عنده البائع والمشتري له وحضر الثمن، فبكى البائع، فقال له: ما يبكيك ترانا نقصناك من ثمن فرسك؟ قال: لا، ولكني أبعه في افتكاك ابن لي مجاهد أسره العدو قصمه الله فقال له: وبكم افتككته؟ فقال: بكذا لعدد أكثر من ثمن الفرس، فأخرج له فدية ابنه ودفع إليه فرسه، وأمر باشتراء فرس آخر لذلك المجاهد بثمن ذلك الفرس، ومن هذا كثير جداً" [15]. بينما نجد أن سليمان بن إبراهيم القيسي قد قام بتفريق كل أمواله على الفقراء [16]، كما أن متصوفا آخر كان يشارك الناس في مهماتهم وحوائجهم [17]، مثله في ذلك مثل المتصوف علي بن محمد المذحجي الذي كان "يمشي في قضاء حوائج الناس" [18]. وهذا محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي، تصفه المصادر بأنه كان" أكثر أصناف الناس قاطبة قضاءا للحوائج بارا بقاصديه" [19].

والجدير بالذكر أن العديد من أولياء ومتصوفة العصر المرابطي كانوا يتصدقون رغم فقرهم وحاجتهم الماسة للمال، فهذا الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الملاح [20] نجده يتصدق على الناس رغم فقره وحاجته [21] وكان الولي محمد بن إبراهيم المهدوي [22] قد "وصل إلى مدينة فاس بمال كثير، عدة آلاف أنفقها على الفقراء وأهل الإرادة" [23]، وفي إحدى السنوات تصدق على الفقراء بكل ما يملك من زرع في بيته [24]. وبالمثل اشترى كسوة لعيال أحدهم ولجميع أولاده، وقام بجميع أموره من طعام وغيره [25].

وقد عرف عن الشيخ إبراهيم بن كانون [26] أنه يأتي إليه كثير من المنقطعين والصلحاء فيقوم بواجب الضياقة ويحسن إليهم ولمن احتاج إليهم [27]. بينما تصدق الولي محمد الأندلسي [28] بماله على الفقراء [29]. وكان الشيخ علي الفارسي[30] "كثير الصدقة، ولاسيما على أهل الستر والفضل"[31]. بينما نجد أن الولي أحمد بن لب السلاوي[32] يأخذ المال ويعطيه للفقراء[33]. أما الولي أبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير [34] فقد بعث إليه السلطان بجملة من مال فلم يخرج إلى أغمات من مراكش حتى فرقه على المساكين[35]. بينما تصدق الولي أبو محمد خميس ابن أبي زرج الرجرارجي الأسود[36] بكل حصاده[37]. وفي موضع آخر نجد أن أحد الفقراء أتى إلى الولي أبي يعقوب تصولي [38] وهو "محتاج إلى أضحية فشكا إليه فاقته وفقره فمد أبو يعقوب يده وقبض في الهواء وقال له: خذ ما تشتري به أضحيتك. فإذا دراهم طيبة جديد"[39]، وبالمثل فقد تصدق عبد الجليل بن ويحلان بألف دينار على المساكين [40]. وهذا الأمر يدفعنا إلى القول بأن رجال التصوف قد اعتبروا أموال السلاطين ذات أصل خبيث [41]، وبالتالي فمن باب التحري قرروا عدم التصرف في تلك الأموال، ناهيك عن عدم احتياجهم لها، نظرا لاكتفائهم في الحياة بالضروري من المورد الحلال. كما تصدق المتصوف أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف [42] بكل ماله [43]، نفس الأمر نجده مع المتصوف الولي أبي يحيى أبو بكر بن فاخر العبدري [44] الذي تصدق بكل ما يملك [45]، مثله في ذلك مثل الولي أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي [46] الذي نراه قد تصدق بجميع ما اكتسب [47]، بينما نجد أن أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الهواري [48] قد كان "ذا مال فكان يصرفه في سبيل الخير والبر" [49]. وبالمثل تصدق أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي [50] بجميع ماله [51]، كما أنه كان يطعم المساكين من الإسفنج والهرسة[52]. وتصدق أبو زكرياء يحيى بن إبراهيم بن عبد الله التادلي [53] بماله كله وأنفقه في سبيل الخير حتى لم يبق له شيء [54]، وتصدق المتصوف أبو عبد الله التاودي بملابسه على أحد الفقراء وبقى هو عريانا كما جاء في ترجمته [55]. بينما نجد أن نصر بن الحسن كان من المتصدقين على الفقراء وتصفه المصادر بأنه "منطلق اليد بالعطاء كثير الصدقات" [56]، وبالمثل كان أحمد بن مغيث الصوفي "كثير الصدقة، وكان يفضل الفقر على الغنا" [57]، وكذلك تصف المصادر أحمد بن محمد الأنصاري "بأنه كان كثير الصدقة وفعل

المعروف" [58]. في حين فرق سليمان بن إبراهيم القيسي جميع ماله وانقطع إلى الله عز وجل [59]، بينما نجد متصوفا آخر يجمع ما يلفضه البحر من مباح الطعام فيبيعه ويشتري بثمنه خبزا، ويمسك خبزتين، ويتصدق بالباقي على المساكين.

ومما تجدر الاشارة إليه أنه أثناء اشتغال ابي يعزى بالرعي، فإننا نراه يقبض من "أرباب المواشي رغيفين في كل يوم، فيمسك رغيفا واحدا ويتصدق بالثاني على رجل منقطع في المسجد. وبعد ذلك انقطع رجل آخر فآثره على نفسه بالرغيف الثاني فصار يأكل ما تنبته الأرض" [60]. وكان أبو عبد الله التاودي يعلم الصبيان ويأخذ الأجرة من أغنيائهم ويردها إلى الفقراء [61]. وكان أبو يعزى يحرث الأرض ويعطي تسعة أعشارها للمساكين، ويحتفظ بالعشر الباقي لنفسه ويقول: "إنني أستحيي أن أمسك تسعة أعشار وأصرف العشر للمساكين، فإن هذا من الأدب مع الله عز وجل" [62]. وهذا سلوك تربوي كان هدف الشيخ منه حمل الأغنياء على الإنفاق، ناهيك عن إشاعة روح التعاون لتحقيق التكافل بين المجتمع. وتصف المصادر الولي عبد الغفور بن اسماعبل بن مخلوف السكوني بأنه مجاب الدعوة ومن أهل الكرامات "وكان ذا يسار إلا أن غالب الايثار عليه، فما كان له ولمن إليه من الأهل والولد إلا قدر الكفاية، وفي الضروري الذي لابد منه خاصة، وسائر ذلك في الفقراء والضعفاء وذوي رحمته وقرابته" [63].

هذا؛ مع العلم أن الكثير من المتصوفة كانوا يوصفون بالفضل والصلاح والخير، أو العمل الصالح... وغيرها من الصفات التي تدل على كثرة التصدق [64]. وكل هذه الأمثلة التي مرت معنا رام أصحابها النفاذ إلى وجدان وضمائر العامة قصد استنهاض هممهم، ومعاونة الفقراء والمحتاجين. لأنهم كانوا يهتمون بما يكابده الفقراء والمساكين من مشاق في سبيل لقمة العيش، لذلك نراهم يتصدقون عليهم بالمال، بل ويحثون الأغنياء على التصدق والبر بالفقراء والإحسان إليهم [65].

إن الملاحظ لسلوك المتصوفة في العصر المرابطي يتضح له بجلاء أن موقفهم هذا والمتمثل في الصدقة وإطعام المحتاجين لم يتسم بالظرفية المرتبطة فقط بمواجهة الصعوبات المعاشية الناجمة عن العوامل الطبيعية (جفاف، كوارث، حرائق...) [66]، ذلك أن تقديم العون للفقراء كان من مقومات الأخلاق الاجتماعية لرجال التصوف، ومظهرا جليا من مظاهر رغبتهم في التخفيف من حدة مشاكل التباين الاجتماعي، فقد كان المتصوف أبو محمد عبد

الخالق بن ياسين[67] يقول: "طلبنا التوفيق زمانا فأخطأناه فإذا هو إطعام الطعام"[68]. أما أبو يعزى والذي اشتهر بإطعام الطعام فقد شمل تأثيره سكان القرى المجاورة له الذين أصبح من عادتهم ضيافة الوافدين على الشيخ[69]، وكان يُطعم الوفود التي تأتي لزيارته "أطيب الطعام والعسل، ولحوم الضأن، والدجاج، والفواكه الطيبة"[70]. وقد أعطى أبو العباس السبتي لمفهوم الإحسان والصدقة مدلولا واسعا بأن ربطه بكل مناحي السلوك الديني، لذلك قرر ابن رشد الجد في حق مذهبه أنه يقوم على اعتبار "الوجود ينفعل بالجود"[71].

والجدير بالذكر أن هذه الأعمال لم تكن مقتصرة على الأولياء والمتصوفة، بل إننا لا نعدم من الشواهد التي تثبت أن الفقهاء والقضاة شاركوا الناس همومهم، وسارعوا إلى بذل الجهد من أجل التخفيف عنهم ومواساتهم. ففي هذا الصدد نجد أن قاضي قرطبة أبو عبد الله محمد بن أصبغ بن المناصف المتوفى سنة **536**هـ/ **1141**م، أسهم في إطعام فقراء مدينته وجياعها، فكان يُنفق في إحدى السنوات العجاف "كل يوم على أكثر من ثلاثمائة بيت يُعيل ديارهم، ويُقيل عثارهم"[72]. وقد يقول قائل بأن هذا الكلام فيه مبالغة كبيرة، لكن بالرجوع إلى ابن سعيد المغربي يتضح بأن هذا هو الواقع وليس هناك مبالغة فالرجل كان يُعدُّ من المياسير بحيث "كان يحرث له في ضياعه الموروثة بثمانمائة زوج في كل عام فلم يبق عند نفسه منها إلا ما يأكل"[73]. وبصنيعه هذا نجده يُقدم درسا مهما للتضامن وتخفيف معاناة الناس، بل وتحفيز غيره من الميسورين للإسهام في تفريج الكرب عن المعسرين وذوي الحاجة. وقد ورد في إحدى رسائل ابن العريف أن "خدمة الفقراء ومساعدة الضعفاء وقضاء حوائجهم من الأمور المفضلة على الحج"[74]. وبذلك تتضح لنا قيمة التضامن الاجتماعي في عصر المرابطين. فقد ارتبط العلماء والصلحاء والمتصوفة ارتباطا وثيقا بقضايا الناس في عصرهم. فتقديم الإطعام على فريضة الحج لدرء خطر المجاعة له دلالة كبيرة، ذلك أن حفظ النفس لها مكانة هامة في أصول الدين فهي من الكليات الخمس التي دعى الدين إلى حفظها، ولا غرو في ذلك فإن منزلة "القوت من الدين كالرأس من الجسد"[75].

من خلال عرضنا للنصوص السابقة يتضح أن متصوفة الحقبة المدروسة لم يألوا جهدا في سبيل إعانة المحتاجين والفقراء وذوي الحاجة، فهم بذلوا كل ما في وسعهم قصد إعانة إخوانهم الفقراء. وكان منطلقهم في هذا الأمر مرتكزا على البعد الديني الذي يُعطي للبذل

والانفاق قوة إيمانية، ومنطلقا أيضا من مفهوم المجاهدة. لكن بعض الدراسات الحديثة تحاول أن تصور هذا العمل الذي قام به متصوفة العصر المرابطي بأنهم حاولوا خلق مجتمع جديد، أو أنهم التجأوا إلى الكرامة قصد إصلاح المجتمع وتطهيره، وبالتالي تحسين وضعية الطبقات الفقيرة [76]. لكن بالرجوع إلى تراجم الأولياء التي استقينا منها مادة هذا البحث تبين لنا أنها تنفي ادعاء أصحاب هذا الطرح، إذ إن العديد من رجال التصوف في الحقبة مجال البحث كانوا هم في أمس الحاجة إلى المال فأغلبية المتصدقين من المتصوفة كانوا فقراء [77]. وبالتالي فإننا نزعم بأن المتصوفة جُبلوا على فعل الخير والتصدق وإغاثة المحتاجين، ولم يكن همهم إصلاح المجتمع وتطهيره أو تحسين وضعية الفقراء. إذ كيف يُعقل أن الفقير سيعمل على تحسين وضعية الناس وهو في أمس الحاجة إلى من يساعده، وهذا ما دفع بمانويلا مارين إلى القول بأنه "ليس من الغريب أن نجد في سير العلماء إشارات لمنحهم الصدقات للمعوزين في حين كانوا هم أنفسهم يعانون ظروفا عسيرة" [78]. وهذا يدل على سعة علمهم ومعرفتهم بالله تعالى، لأن العارف بالله يراعي قلبه ويفتقده، فإذا وجد فيه شيئا من الاشتغال بأمر الدنيا بادر إلى نزعه من قلبه. بل يمكن القول بأن عمل المتصوفة هذا هو دعوة اجتماعية صريحة تعمل على إقامة مجتمع سليم متكامل يسوده جو منالحب والرحمة والعفو والإخاء الصادق والإخلاص الكريم بكل المُثُل التي تؤهله للوصول إلى مرتبة أرقى المجتمعات. وعليه فالتصوف رسالة موجهة للفرد والمجتمع تعمل على تبصير الناس بالمنابع الحقيقية للدين الحنيف، وبذلك تعمل على إصلاح المجتمع.

2- طلب الاستسقاء:

إن الاعتقاد في قرب الولي من السماء يجعل لطلبه ودعائه مكانة وأهمية دون سائر البشر، ومن تم كان اللجوء إلى الأولياء سواء الأحياء منهم أو الأموات للتوسل إليهم والتوسط بهم لطلب الغيث عندما يضيق الناس، ويشعرون بخطر الجفاف والقحط والفناء يدب إلى البهائم والنبات والعباد. هذا، وتزخر كتب المناقب بنصوص كثيرة توضح عادة التجاء العامة إلى الصلحاء، يلتمسون منهم الإستسقاء. مع العلم أن الماء شكل على امتداد تاريخ البشرية عنصرا أساسيا لاستمرار الإنسان والحيوان والنبات. ذلك أن كل نقص يعتري هذه المادة الحيوية من شأنه أن يُحَوِّلَ الأمن والاستقرار إلى اضطرابات وفتن.

وفيما يخص العصر المدروس ثمة مجموعة من النصوص في المصادر التاريخية تُبرز التجاء الناس للمتصوفة قصد الاستسقاء بهم. ففي هذا الصدد ورد في ترجمة يعلى أبي جبل أن قحطا ضرب في إحدى السنوات مدينة فاس فبعث الناس رسولا إلى الولي المذكور قصد التماس دعواته لهم بنزول المطر "فما رجع الرجل حتى غيمت السماء وغيث الناس" [79]، وبالمثل استسقى أهل تلمسان بأبي زكريا بن يوغان الصنهاجي فسُقوا [80]. كما طلب الناس من الولي أبي زكريا بن محمد الجراوي أن يصلي بهم صلاة الاستسقاء فسقط المطر [81]. واستغاث الناس في إحدى السنين بمدينة فاس عندما اشتد الجفاف بها بالولي أبي يعزى "فأخذ بالبكاء والتضرع إلى أن غيمت السماء وهملت بالأمطار" [82]. وبالمثل كان الولي محمد بن أحمد القيسي مجاب الدعوة. فأثناء القحط الذي ضرب إشبيلية طلب منه العامة الدعاء لنزول المطر "فما انقضى النهار حتى سقاهم الله تعالى" [83]. وقد أصاب الناس جذب بنفيس، فذهبوا إلى وجاج بن زلوا اللمطي [84] المتوفى سنة (445هـ/ 1035م) وهو بالسوس. فلما وصلوه قال لهم: ما جاء بكم؟ فقالوا له: قحطنا وجئناكم لتدعوا الله لنا أن يسقينا[...] فلما انصرفوا عنه أرسل الله عليهم السحائب بالأمطار ودامت عليهم الأمطار، فلم يصلوا إلى بلادهم إلا بعد ستة شهور [85]. وبالمثل استقى الناس بالولي ابن شبة [86] عندما قحط الناس في إحدى السنوات [87]. وجاء في إحدى الروايات المناقبية أن الولي أبا العباس أحمد بن محمد [88] صعد إلى منزله في يوم الجمعة واستقى للناس. فلم ينزل عنه حتى سقي الناس [89]. واستسقى أبو وكيل ميمون بن تاميمونت [90] عندما احتبس المطر فغيمت السماء وسقط المطر [91]. وكان عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك مستجاب الدعوة، فعندما قحط الناس بغرناطة سنة 52هـ "فاستسقى بهم فسقوا" [92]، وفي إحدى السنوات جدب الناس فقام أبو الحسن علي الصنهاجي [93] بالاستسقاء "فوقع المطر وأمطرت السماء مطرا وابلا" [94].

والملاحظ أن الإعتقاد في استجابة الدعوات لم يقتصر على رجال التصوف فحسب، بل تعداه إلى الفقهاء والقضاة أيضا [95]، دليلنا في ذلك أن سكان غرناطة لما قحطوا في سنة 524هـ استسقى بهم القاضي أبو محمد الهلالي فسقوا [96].

يتضح من النصوص السالفة الذكر أن العامة كانوا يلتجؤون إلى المتصوفة كلما انقطعت السماء عن المطر، وهو ما يدل على أن الناس كانت لهم ثقة كبيرة في رجال التصوف،

وأنهم بمجرد ذهابهم إلى المتصوفة ستغيم السماء وتمطر. دليلنا في ذلك أن أغلب النصوص ترى بأنه بمجرد ما يبدأ المتصوف بالدعاء ينزل المطر، أو أنهم ما يلبثوا أن ينزلوا من أسطح المنازل حتى تمطر السماء. ويخيل إلينا أن النصوص الواردة تحاول إبلاغنا رسالة مفادها أن الله لا يستجيب إلا للزاهدين الحقيقيين، المبتعدين عن المعاصي. مع العلم بأن هذه الصفة، صفة الزهد لم تكن مقتصرة فقط على المتصوفة، بل إننا لانعدم أسماء لشخصيات كثيرة في العصر المدروس كانت تُوصف بصفة الزهد، فلا غرو أن نجد العامة يلتجؤون إلى المتصوفة بموازاة مع البعض الزهاد سواء كانوا فقهاء أو قضاة، قصد التماس بركتهم لقضاء حوائجهم. مما يدل على أن استجابة الدعوة لم تكن مقتصرة على المتصوفة.

بالإضافة إلى ما ورد أعلاه فإن انحباس المطر كانت له آثار سلبية وخيمة على ساكنة المغرب والأندلس في عصر المرابطين. فمما ينتج عن ذلك القحط والمجاعات وانتشار الأوبئة، لاسيما عندما يستمر انحباس المطر لفترة طويلة.

3- الجانب الإنساني للمتصوفة:

مما لا شك فيه أن هذا الجانب قد شكل قاسما مشتركا بين جل الاتجاهات الصوفية في العصر المرابطي [97]. فمن خلال قراءتنا لتراجم متصوفة وأولياء الحقبة المدروسة، برز لنا الجانب الإنساني في سلوكهم ومواقفهم. يتجلى ذلك في قيم الرحمة والإحسان والإيثار التي يمكننا القول بأنهم قد جعلوها مبدأ وغاية، حتى صارت من مكونات شخصيتهم [98]. فقد جُبل المتصوفة على مشاركة الفقراء إحساسهم بمرارة الفقر، وبذل ما ملكت أيديهم بسخاء، ولعل الأمثلة التي أوردناها سابقا تنهض دليلا على ما نذهب إليه، بل إن الولي أبا العباس السبتي جعل مبدأ الصدقة والإحسان حجر الزاوية في فلسفته التصوفية [99]. كما أن المتصوف بن قسي باع كل ما يملك وتصدق به على المعوزين وذوي الحاجات [100]. وكان ريحان الأسود "إذا نزلت بأحد نازلة ذهب إليه فَيُفَرِّجُ الله عنه" [101].

ويبرز هذا الشعور الإنساني في تعاملهم مع مختلف الكائنات والحيوانات. فالروايات المناقبية تكشف عن معاشرتهم وصحبتهم لمختلف الحيوانات [102]. دليلنا فيما نذهب إليه أن المتصوف أبو مدين كانت تأتيه كل يوم غزالة تتمسح به وتبصبص الكلاب أمامه [103]، كما أن الولي محمد بن الخير لقي في طريقه أسدا فبصبص إليه [104]. مع العلم أن ابن حرزهم قد

عرف بمعاشرته للأسد [105]. وأيضا نجد أن الولي أبو يعزى يذكر عن نفسه أن "الأسد والوحوش والطيور تأوي إلي في سياحتي وتتأنس بمجاورتي" [106].

وتذكر الروايات المناقبية أن المتصوف أبا عبد الله التاودي دخل يوما بيته ليأخذ منه كساءه فوجد هرة نائمة لم يرد إزعاجها، وترك الكساء حتى استيقظت [107]. وفي السياق نفسه ورد في ترجمة الشيخ أبي زكريا يحيى بن لا الأذى أنه كان يقطع شجر سدر فصادف رجل قنفذ وكسرها، وآلمه ذلك وحز في نفسه، فعمد إلى ربط رجل القنفذ بجبائر، وأخذ يرعاه ويطعمه إلى أن انجبر [108]، ناهيك عن روايات أخرى تصب في نفس الاتجاه [109].

وفي رواية مناقبية نجد أن الولي أبا عبد الله الدقاق [110] وجد امرأة ضعيفة تتجه نحوه في قنطرة لا تتسع إلا لشخص واحد فكره ان يتعبها بالرجوع فوثب ليسقط عن القنطرة في الوادي حتى تمر العجوز [111].

إن مختلف هذه الروايات المناقبية التي مرت تدل أن متصوفة العصر المرابطي كانوا يحملون إحساسا عميقا ونبيلا تجاه مختلف الكائنات الحية، فهم حاولوا تجنب التعرض بالأذى لأي مخلوق سواء كان إنسان أو حيوان. وهذه القيم التي تحلوا بها هي التي جعلت البعض منهم يتخلى عن راحته لأجل راحة غيره سواء تعلق الأمر بالإنسان أو الحيوان على حد سواء.

وقد برز كذلك الجانب الإنساني لمتصوفة العصر المرابطي في بعض القيم النبيلة من قبيل الأمانة [112]، والرحمة والصبر والتواضع والإحسان [113] والشفقة [114] ناهيك عن تعاملهم الإنساني مع مختلف مكونات الطبيعة (نبات، حيوان...) [115].

ومما يعكس الجانب الانساني للمتصوفة حرصهم الشديد على جمع شتات الأسرة، حينما تدخلوا لإصلاح ذات البين بين الزوجين المتخاصمين ففي هذا الصدد كان الشيخ أبو يعزى "عنده من حسن السياسة والرفق بالقلوب والسعي في صلاح ذات البين وتواد الزوجين ما تشتهي سماعه الأنفس وتقر به العين" [116]، وكان غرض المتصوف من هذا الفعل هو الحيلولة دون الطلاق وتشتت الأسرة [117]. ويذكر ابن مريم أن أحد مريدي الشيخ أبي يعزى عزم على طلاق زوجته، فلما علم الشيخ بذلك طلب منه إمساكها [118]. وقد كان الشيخ أبو يعزى "قلما كانت تهدى عروس من أهل تلك البلاد المجاورة لبعلها حتى يوتي بها إليه برسم الدعاء لهما والتبريك عليهما، فيفعل ذلك ثم يكلمهما حتى يذهب النفار والشراد ويسرهما ويضحكهما حتى يقوم بينهما من الأنس والتأليف المأمول والمراد، وينصرفا إلى

بيت بنائهما" [119]. ولعل هذا الصنيع يعد من أرقى مظاهر الجوانب الانسانية التي امتاز بها الشيخ أبو يعزى.

ويبرز هذا الجانب أيضا في الدور الذي قاموا به من أجل حل النزاعات بين القبائل، وهذا هو حال الولي أبو يعزى "فكان من له عقل وتفكير في تحسين العاقبة يدعو أو يدعى إلى الارتفاع إلى الشيخ أبي يعزى والانتهاء إليه، فلا ترد هذه الدعوة ولا يجرأ أحد منهم على التخلف، وإذا أصلح بينهم على أي وجه اقتضاه توفيق الله تعالى وإرشاده إلى ما تحسن عافية الخلق على يديه به تلقوه بالقبول والرضى" [120].

هذا من جهة، وم جهة ثانية قام متصوفة العصر المرابطي بالاهتمام بالأيتام وإعانتهم، فلم يدخروا جهدا في مساعدتهم. فقد كان أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي "يسأل عن الأيتام وأولاد الفقراء فيكسوهم" [121] بل نجده "يجرد أولاده من ثيابهم فيكسوها أولاد الفقراء" [122]. وقد كان الولي أبو العباس السبتي "رحيما عطوفا على المساكين واليتامى والأرامل" [123]. وبالمثل كان الولي أبو ينور عبد الله بن وكريس الدكالي يهتم بالأيتام [124]. في حين نجد أن الفقيه أبو مروان عبد المالك بن مسرة "قد وقف نفسه لقضاء حوائج الناس ولتجهيز كل يتيمة يعلم بها أو ترفع قضيتها إليه، وأنه جهز يوما يتيمة واستعار لها حليا من الناس من بعض نساء الأغنياء ليجملها به ليلة عرسها، وكان في جملة الحلي عقد يساوي جملة كثيرة" [125]، وقد كانت هذه الظاهرة منتشرة في عصر المرابطين وفي عصر الموحدين من طرف المتصوفة [126]. في حين نجد أن المتصوف أحمد بن محمد المخزومي "يتصدق على الأرامل واليتامى بماله من دقيق وأدم وغير ذلك، فتقول له زوجه: إنك لتسعى بهذا العمل في فقر أبنائك، فيقول لها: لا والله بل أنا شيخ طماع أسعى في غناهم" [127]. مما يدل أن رجال التصوف كانت لهم قناعة مفادها أن الصدقة تجلب الرزق والغنى لصاحبها، بل حتى لأولادهم، وذلك ما يحاول النص أعلاه توضيحه.

وإذا كانت المادة التاريخية لاتسعف في تكوين فكرة متكاملة عن هذا الجانب، فإن النصوص المتاحة- على قلتها- تسمح بهذا الظن. فمن غير المعقول أن يكون المتصوفة بما جبلوا عليه من روح البذل والسخاء، ألا يهتموا باليتامى والأرامل، وذلك ما حاولنا إبرازه من خلال الأمثلة السالفة الذكر.

4- الجانب الأخلاقي: غرس قيم الرحمة والإحسان:

نلاحظ في مختلف تاراجم الأولياء والمتصوفة في عصر المرابطين حضور هذا الجانب في معاملاتهم، ومما تجب الإشارة له في هذا الجانب قلة الدراسات والأبحاث التي ركزت على دراسة القيم الإنسانية التي عكستها قيم الرحمة والإحسان في الممارسات الصوفية [128].

هذا، وتورد نصوص تراجم متصوفة الحقبة المرابطية هذا الجانب في سلوك المتصوفة ومواقفهم. فقد صورت الكرامة الصوفية المال الخاص بعالم التصوف فسمته "بالدراهم الطرية" التي يجب أن تسخر في خدمة الفقراء ومواساة ذوي الحاجة، ففي هذا السياق ذكر صاحب التشوف [129]، أن رجلا فقيرا قصد أحد الأولياء وشكا له عدم قدرته على شراء أضحية العيد "فمد هذا الأخير يده وقبض في الهواء ومده بدراهم طرية جديدة" [130].

هذا؛ ويجد الباحث نصوصا أخرى إضافية من خلال بعض كرامات رجال التصوف، والتي نرى أنها تصب كلها في وجوب أخذ أموال الأغنياء والتصدق بها على الفقراء والمعوزين وذوي الحاجات، بل وعدم امتلاك الفائض أو ما يزيد عن الحاجة [131].

والملاحظ هو أن منطلق رجال التصوف في إيجاد حل لمسألة الفقر كانت تنبني على الجانب الإنساني القائم على مبدأ الرحمة والإحسان كأسلوب سعوا من خلاله إلى خلق نوع من التوازن الاجتماعي، فمن خلال قراءة في تراجم متصوفة الحقبة موضوع البحث، يبرز الجانب الإنساني في سلوكهم ومواقفهم، وقد تَرجموا ذلك في قيم الرحمة والإحسان والإيثار وهي قيم جعلوها "مبدأ" و "غاية"، حتى صارت من المكونات الأساسية في شخصيتهم [132]. وبالتالي فيمكن القول بأن متصوفة العصر المرابطي قد جبلوا على مشاركة الفقراء إحساسهم بمرارة الفقر، وبذل ما ملكت أيديهم بسخاء [133] معطين بذلك النموذج والقدوة التي يقتدي بها كل من اندرج في عالمهم الصوفي [134]. وحسبنا أن الولي أبا العباس السبتي جعل مبدأ الصدقة والإحسان حجر الزاوية في مذهبه الصوفي القائم على قاعدة أن "الوجود ينفعل بالجود" [135]، بينما نجد أن المتصوف ابن قسي باع كل ما يملك وتصدق به على المعوزين وذوي الحاجات [136]. مثله في ذلك مثل المتصوف ابن وزير الذي

"تميز بالمعارف الأدبية والفقهية وولي خطة الشورى ثم تزهد وانزوى ورابط على ساحل البحر في رباط الريحانة وتصدق بماله"[137].

هذا، وتعكس نصوص الحقبة المدروسة التجاء الفقراء إلى المتصوفة كلما حاق بهم مكروه أو اجتاحتهم الكوارث الطبيعية كالقحط، الجفاف والمجاعات. ففي هذا الصدد ذكر ابن الزيات أنه خلال مجاعة عمت مراكش، جمع المتصوف أبو زكرياء يحيى بن محمد بن عبد الرحمن التادلي حشودا من الفقراء بجامع علي بن يوسف "فأخرج قمحا وسمنا كان عنده ففرقه عليهم حتى لم يبقى منه شيء"[138]. كما أن المتصوف عمر بن معاذ الصنهاجي حشد عددا من المحتاجين في في مجاعة **535هـ/ 1140**م "فكان يقوم بمؤونتهم وينفق عليهم ما يصطاده من الحوت وغيره إلى أن أخصب الناس"[139]. وعندما اضطرت امرأة لبيع منزلها إلى أحد الأولياء بثمن زهيد لتقاوم أهوال مجاعة حلت بالمنطقة التي تقيم بها، دفع إليها هذا الأخير ثمن البيع، غير أنه رد إليها فيما بعد منزلها، وطمأنها بأن ما قام به من قبض المنزل إنما هو عمل عابر، وأن ثمن الشراء إنما هو صدقة بعثها إليها لتسد بها رمقها في تلك المجاعة ثم رد إليها منزلها[140]. وكان علي بن عبد الله بن حمود المكناسي "مشفقا على الغرباء والضعفاء محسنا إليهم"[141]. وكلها أمثلة تدل على أن متصوفة العصر المرابطي كانوا يحاولون بث وغرس قيم الرحمة والإحسان في نفوس الناس في هذا العصر.

ولا تعوزنا الأدلة حول المحاولات التي قام بها المتصوفة للتخفيف من الضرائب التي أثقلت كاهل الفقراء، فقد بلغ إلى علم أحد المتصوفة أن عاملا من عمال علي بن يوسف طالب الناس بمغارم غير شرعية فدعا عليه هذا الأخير فجاء كتاب الأمير بعزله "فلم يؤدوا في ذلك العام شيئا"[142].

ولم يؤُل المتصوفة جهدا في إعانة المحتاجين ومد يد العون للفقراء وبذل الموسرين منهم كل ما ملكت أيديهم. فأبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف من أهل سلا "كان ذا مال فتصدق بجميعه"[143]، واعتاد آخر على جمع ما يلفظه البحر من مباح الطعام، فيبيعه ويشتري بثمنه خبزا ويمسك خبزتين ويتصدق بالباقي على المساكين. ويقدم الولي أبو يعزى نموذجا رائعا لقيم الرحمة والإحسان فأثناء اشتغاله بالرعي، كان يقبض من أرباب المواشي رغيفين في كل يوم، فيمسك رغيفا واحدا ويتصدق بالثاني على رجل منقطع في المسجد، وتصدق بالثاني عندما انقطع رجل آخر في نفس المسجد، واكتفى بأكل ما تنبته

الأرض [144]. أما أبو موسى بن إسحاق المعلم فما جاءه قط مسكين وعنده مايعطيه إلا أعطاه. فإن لم يكن معه شيئ قام معه إلى السوق يمشي على الناس ويسألهم له، بل إن أبا إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي "كان يجرد أولاده من ثيابهم ويعطيها لأولاد الفقراء" [145].

وهناك أسلوب آخر اتبعه متصوفة الحقبة المدروسة، فقد كان المتصوف أبي عبد الله محمد بن يعلى التاودي يأخذ الأجرة من أولاد الأغنياء ويعطيها لأولاد الفقراء [146].

ومما يعكس قيم الرحمة التي اضطلع بها متصوفة العصر المرابطي ماذكرته كتب المناقب عن الشيخ أبي يعزى الذي كان يحرث الأرض ويعطي **9/10** للمساكين، ويحتفظ لنفسه بالعشر فقط [147]. وفي الحقيقة فإن هذا السلوك من أبي يعزى يُعد سلوكا تربويا لا مثيل له، فقد كان هدفه من صنيعه هذا حمل الأغنياء على الإنفاق، وإشاعة روح التعاون لتحقيق التكافل بين مختلف عناصر المجتمع.

ويُعَدُّ أبو العباس السبتي أنموذجا للصوفي الداعي إلى غرس قيم الرحمة والإحسان داخل المجتمع، فقد اجتمعت المصادر على أن مذهبه يدور حول عدم تكديس الأموال في يد الأغنياء وضرورة بذلها بسخاء للفقراء والمساكين. وكان إذا قصده أحد مريده أو غيرهم، يشترط عليه التصدق بجزء من ماله ليتحقق له المراد [148].

وبرزت قيم الرحمة والإحسان لدى المتصوفة في اهتمامهم بالأيتام وإعانتهم والأخذ بيدهم. فالمتصوف أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي "كان يسأل عن الأيتام وأولاد الفقراء فيكسوهم" [149]، بينما لم يقتصر اهتمام الولي أبي العباس السبتي على الأيتام فحسب، بل امتد عطفه إلى النساء اللائي فقدن أزواجهن فكان كما أورد ابن الزيات في تشوفه "رحيما عطوفا على المساكين واليتامى والأرامل" [150].

ولمواجهة ظاهرة الفقر، تطوع بعض الأولياء لتقديم المساعدة الدائنين الذين عجزوا كليا عن رد الديون التي هي في ذمتهم، كما ساهموا في تخفيف الأعباء الحياتية على المحتاجين، فتطوعوا لشراء أضحية العيد لبعض من لم يتمكن من اقتنائها لعائلته [151]. ونظرا لروح البذل والسخاء التي جبل عليها المتصوفة، فإنهم ساهموا في إطعام الناس وإيواء الغرباء.

هذا، ولم يقتصر نموذجهم الإنساني على الأمور المعشية، بل شمل كذلك العلم والتعليم فقد كانوا يدرسون احتسابا لله. وفي هذا الصدد تذكر المصادر أن المتصوف محمد بن

عبد الجليل بن ويحلان درّس الفقه بأغمات وريكة ثلاثين سنة لا يأخذ على ذلك شيئا ولا يسأل أحد مع شدة فقره [152]، كما أن متصوفا آخر أقرأ القرآن بتلمسان محتسبا لله دون أجرة [153].

وانعكست قيم الرحمة والإحسان في تعاملهم مع الفقراء الذين إلتجأوا إليهم ملتمسين الشفاء من أمراض تكون في بعض الأحيان مستعصية، فلم يكونوا يطلبون منهم غير ثمن رمزي [154].

2- المرافق الاجتماعية:

لا سبيل إلى الشك في أن المتصوفة قاموا بأدوار هامة في هذا المجال، إذ لايعقل أن يكون لهم باع طويل في مختلف مناحي الحياة في مجتمعهم، ولا يقومون ببناء المساجد والقناطر. والجدير بالذكر هو أن هذه الأشغال، كانت تدخل في إطار الأعمال التي تقع تقليديا على عاتق السلطة، من سلاطين وأمراء وعمال وولاة... ورغم أن النصوص في هذا المجال شحيحة، إلا أننا سنركز على أهم ماجاء في بعض تراجم أولياء ومتصوفة الحقبة موضوع الدراسة.

بناء القناطر والطرق والمساجد:

رغم شح الإشارات في هذا الميدان، فإننا لا نعدم أخبارا تكشف عن دورهم في بناء المرافق الاجتماعية، من مساجد وقناطر وتأسيس المساجد وعمارتها. ففي هذا السياق ورد في ترجمة المتصوف الحسن بن ست الأفاق أنه كان "له مال أنفقه على أهل الفضل والدين في بناء القناطر وعمارة المساجد" [155]، وبالمثل كان متصوف آخر "مولعا ببناء المساجد في البادية وبناء القناطر" [156]، وهذا يعني أنه كان من الميسورين ليتسنى له إنفاق المال في مشاريع خيرية. بينما تصف المصادر الولي أبي يدو يعلى [157]، بأنه "كان متصرفا بنفسه في مرافق الناس من حفر بئر في البادية وغير ذلك" [158]. وذُكِر عن أبي بكر بن العربي [159] أنه لما كان قاضيا لمدينة إشبيلية تبرع بمال وفير لإصلاح سورها وترميم تحصيناتها [160]. وقد كان قصده من ذلك حماية المسلمين من خطر النصارى، لذلك ساهم في تحصين إشبيلية. واشتهرت الحرة حواء بنت تاشفين بالصلاح والإنفاق على الفقراء، وأشار ابن رشد الجد أنها ساعدت في إصلاح مسجد بلنسية [161]. وقد بنى المتصوف أبو زكرياء يحيى بن محمد

الجراوي [162] مسجدا بموضع الحواتين [163]، مثله في ذلك مثل الولي أبو تميم عبد الواحد الأسود [164] الذي بنى مسجدا في مدينة مكناس [165]، في حين نجد أن المصادر تذكر بأن الولي أبا حفص عمر بن ميكسوط الدغوغي [166] قد بنى مسجدا بموضع يدعى بتا فَرْنت [167]، وهذا عبيد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن المعافري بنى ببلنسية المسجد المنسوب إليه [168]. وبنى أبو بكر بن العربي مسجدا في إشبيلية [169].

من كل الأمثلة الواردة أعلاه يتضح أن العديد من متصوفة العصر المرابطي كانوا على درجة كبيرة من الغنى وقد ساهموا بنصيب كبير من تلك الأموال في المشاريع الخيرية من قبيل بناء المساجد والقناطر وما إلى ذلك.

يتضح من خلال النصوص السالفة الذكر أن المتصوفة لم يذخروا سبيلا من أجل بناء بعض المرافق الاجتماعية، لكن الملاحظة التي تبرز من خلال النصوص أن حصة الأسد من عملهم هذا انصب نحو بناء المساجد، ولا غرو في ذلك؛ فالمساجد هي مكان للعبادة والعلم ففيها يقوم المتصوفة ببث مختلف العلوم وتدريسها للطلبة، هذا بالإضافة إلى أنها كانت مراكز مهمة لتعليم القيم والأخلاق إلى جانب تعليم اللغة العربية.

7- التعليم:

مما لا مراء فيه أن دور المتصوفة في التعليم مسألة لايرقى إليها الشك. فمن خلال تتبع مختلف تراجم الأولياء نجد أن السواد الأعظم منهم تمكنوا من الحصول على بعض العلوم، في حين لم تكن سوى أقلية صغيرة منهم أمية، فمن خلال **107** من التراجم التي يوردها صاحب التشوف، لا نعثر إلا على سبعة أولياء من الأميين مثل أبي يعزى [170]. ومع ذلك؛ فإن ما يثير الانتباه أن المصادر نسبت إليه قدرته على إدراك علم التصوف [171]، بل وفتح بصيرة بعض المريدين [172]. بل حتى إن بعض الفقهاء كانوا يأتون لزيارته من جل المدن المغربية نظرا لعلو شأنه ومقامه الرفيع [173] وذلك للتبرك منه لا للتتلمذ عليه، حجتنا في ذلك أن المصادر التي ترجمت له تؤكد على أنه كان أميا. لكننا نختلف مع الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش عندما زعم بأن هؤلاء الفقهاء كانوا يحضرون لمجلسه [174]. فبالرجوع إلى كتاب "المعزى" للصومعي نجد أن الصومعي يتحدث عن الشيخ أبي عمران موسى بن محمد بن معطى العبدوسي المتوفى في سنة **834**هـ، حيث كان "الفقهاء والمتصوفة يحضرون

مجلسه"[175] وليس عن الشيخ أبي يعزى كما ذهب إلى ذلك الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش.

ورغم أن يعلى أبو جبل كان أميا، فقد ظل يحدوه الأمل في التعلم فكان "إذا علمه أحد آية من القرآن أو مسألة من دينه أعطاه درهما"[176]. وبذلك كان يعلى أبو جبل يحاول زرع حب العلم والدراسة في نفوس مريديه أولا وبقية الناس من حوله ثانيا.

أما بقية المتصوفة فقد امتلكوا رصيدا علميا لا يستهان به، وتعاطوا بمختلف العلوم[177]، بل ومنهم من تبحر في بعضها بصفة خاصة. فالعديد من متصوفة العصر مجال البحث جمعوا بين التصوف والفقه. وحسبنا أن الشيخ أبو شعيب مدين اقتنع من خلال تجربته الصوفية أن الله لا يُعبد إلا بالعلم[178]، وكان متعمقا في شرح القرآن[179]. بالإضافة إلى الشيخ أبي مدين ثمة عدد من الأولياء الذين نبغوا في مختلف العلوم[180]. فالمصادر التي بين أيدينا تصف العديد من الأولياء والمتصوفة بصفة العلم. فهذا أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى الضبي "كان من أهل العلم النافع والعمل الصالح"[181]، وذاك الطيب بن أحمد بن علي الذي كان "ناسكا ورعا من أهل العلم والعمل متصوفا، وصنف في تلك الطريقة مصنفا حسنا نحا به منحى رسالة القشيري"[182]، وهذا ابن برجان "غزالي الأندلس" حسب تعبير ابن الأبار[183] "كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتصوف"[184].

إذا كان الأمر والحالة هذه فإن المتصوفة إذن لن يألوا جهدا في تعليم الناس، فقد اشتغلوا بتدريس الفقه وتعليم القرآن. فهذا الشيخ أبو يحيي المكلاتي الذي كان "يُدَرِّس الفقه" ولم "تكن له حرفة يشتغل بها غير عبادة مولاه وتعليم العلم"[185] مثله في ذلك مثل الشيخ أبي العباس أحمد المرادي الذي كان يعلم القرآن وجلة قراء فاس تخرجوا عليه[186]. وكان محمد بن يوسف بن سعادة يُسمعُ الحديث ويُدرِّسُ الفقه بمرسية[187]، وقد أقرأ المتصوف علي بن خلف بن غالب الأنصاري الناس بقصر كتامة[188].

والجدير بالذكر أن الفقهاء أنفسهم كانوا يدرسون على يد بعض المتصوفة، فقد وصف التميمي الشيخ أبو علي الخراط بقوله: "كان الفقهاء في وقته والعلماء يعظمونه ويسمعون مواعظه"[189]، بينما نجد أن أبا الحسن علي الكناني "كان يعلم القرآن بالمسجد المعروف بابن حنين"[190]. مثله في ذلك مثل دراس بن إسماعيل الذي "كان يدرس الفقه

بمسجده"[191]. وهذا عبد الرحمن بن أبي رجاء تصدر للإقراء بمسجده في ربض الحوض بألميرية[192].

مما سبق يمكن القول بأن متصوفة العصر المدروس كانوا يمتلكون رصيدا علميا مهما مكنهم من تصدر مكانة مرموقة داخل مجتمعهم، حجتنا في ذلك جلوس بعض العلماء في حلقات دروس المتصوفة. والذي يجب التنبيه إليه أيضا أن العديد من المتصوفة كانوا يتصدرون للإقراء في مساجد خاصة بهم، أو تُنسب إليهم على أقل تقدير، مما يعني أنهم كانوا قد بلغوا شأوا عظيما في مجتمعهم.

بينما نجد أن أبا إسحاق إبراهيم بن يغمر كان يدرس العلم بدكالة و "يجتمع إليه الناس وينتفعون بكلامه ومجلسه"[193]، مثله في ذلك مثل الولي محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي الذي كان يُدَرِّسُ العلم[194]، في حين نجد أن عياش بن فرج كان يُدرِّسُ بمسجد أم هشام[195]، بينما كان أحمد بن لب السلاوي "أستاذا في النحو يقرئه للناس"[196]، وبالمثل فإننا نجد الولي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الخشني "واحد وقته بشرق الأندلس حفظاً ومعرفة وعلماً بالفروع، وسبقاً فيها غير منازع مشهور بالفضل محافظ على نشر العلم وصونه"[197]، بينما كان المتصوف علي بن عبد الله بن ثابت "يعمل على تدريس العلم ونشره"[198]. وكان أبو علي الصدفي يُدرِّس الناس في جامع مرسية[199].

والملاحظ أن طلاب العلم كانوا يفدون على المتصوفة للدراسة بكثرة. فمن خلال تصفح العديد من تراجم هؤلاء نلاحظ أنهم كانوا مقصدا للمتطلعين إلى تحصيل العلم، سواء تعلق الأمر بالعلوم الدينية قصد التفقه في الدين، أو حتى التبحر في "علوم الحقيقة"، أو من جهة ثالثة الإستفادة من علم بعضهم، فنجد طلاب العلم ينثالون عليهم من كل حدب وصوب، بل ويزدحمون على حلقات دروسهم، ويواظبون على حضور محاضراتهم. من ذلك أن الاقبال على دروس أبي علي الصدفي مثلا كان كبيرا من جانب الطلاب- وهو لم يصل بعد إلى بلده الأندلس من رحلته المشرقية، فعند حلوله في سبتة بالمغرب لازمه الناس في جامعها ليلا نهارا لسماع أحد كتب الحديث التي كانت تُقرأ عليه، فكانوا- من حرصهم على ملازمته يبيتون بمقصورة الجامع إلى أن كَمُلَت قراءة ذلك الكتاب[200]. ولما وصل إلى مرسية في الأندلس احتشد أهلها للدراسة عليه، وتنافس كبراؤهم في الأخذ عنه[201]. وقد

اغتنم أهل ألميرية إقامته عندهم سنة 505هـ/ 1111م، حين فَرَّ من قضاء مرسية "فسمعوا في تلك المدة عنه سماعا كثيرا" [202]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد كان أبو علي محط أنظار طلبة العلم في الأندلس قاطبة، ولذلك "رحل الناس من البلدان إليه، وكثر سماعهم عليه" [203]، بل وقد "كثر الأخذ عنه" [204] حتى أن بعض شيوخه الذين كان لهم قد تعلم على أيديهم قَبْلا ًهبوا يأخذون ويكتبون رواياته، فصار بذلك شيخا لهم [205]. كما أن بعض أبناء حكام زمانه لازموه وسمعوا منه كثيرا [206]. هذا؛ ولم يكن أبو بكر بن العربي أقل مسوى ومنزلة من الإمام أبي علي الصدفي فقد اشتغل أبو بكر بن العربي زمنا بالتدريس والوعظ في الأندلس قبل أن يُقدم للشورى والقضاء [207]. وقد كانت جموع طلاب العلم تفد عليه سواء من قرطبة أو إشبيلية [208] للتتلمذ على يديه حيث كان يقوم بـ"نشر العلم وتدوينه" [209].

مما سبق يتضح أن متصوفة العصر المدروس كانوا على درجة عالية من العلم، الشيئ الذي مكنهم من منزلة علمية سامقة حيث نجدهم يبرزون ويتفوقون على أقرانهم في هذا المجال، حجتنا فيما نذهب إليه أن الشيخ علي بن حرزهم كان "يُقصد من البلدان للقراءة عليه" [210]. وقد كان هذا الولي المغربي ممن "خبر دقائق العلوم وأسرارها" [211] و"كان معظما للعلم يوفيه حقه ودرجته" [212] وهو الذي "اجتمعت فيه خصال علمية ما اجتمعت في غيره؛ الفقه في المسائل والفقه في الحديث ومعرفة التفسير للقرآن والتصوف" [213] لذلك لا نستغرب إذا كان "يُقصد من البلدان للقراءة عليه" [214]. مثله في ذلك مثل الشيخ عمرو بن زكرياء بن بطّال البهراني الذي كان الناس يرحلون "إليه من كل مكان وأخذ عنه القراءات عالم كثير" [215]. وإذا كان الناس يتهافتون على التتلمذ على شخص ما فإن ذلك يعود بالأساس إلى المنزلة التي تبوأها ذاك الشخص وكذا تمكُّنه من ناصية العلوم التي كان يُدرِّسها، وذلك هو الحال مع بعض متصوفة العصر المرابطي.

وخلال هذا العصر تبرز مسألة هامة لدى المتصوفة الذين كانو يضطلعون بمهمة تدريس العلوم، ذلك أن العديد منهم كان يقوم بالتدريس دون أخذ الأجرة على ذلك، حجتنا في ذلك أن المتصوف عبد الجليل بن ويحلان درَّس الفقه بأغمات وريكة ثلاثين سنة محتسبا لله، وكان عبد الله التاودي يدرس الصبيان [216].

ومما يدل على المكانة المرموقة التي حظي بها متصوفة العصر المرابطي في مجال التدريس أن المتصوف محمد بن إسماعيل ابن حرزهم كان يدرِّس الأمراء بمراكش [217]، وعنه أخذ أكابر شيوخ التصوف في المغرب كالشيخ أبي مدين الغوث وغيره من أقطاب التصوف بفاس [218]. وكذلك نجد أن بعض أبناء حكام زمن أبي علي الصدفي "لازموه وسمعوا منه كثيرا" [219]. بل حتى إن الأمير المرابطي أبو إسحاق يوسف بن تاشفين كان من تلاميذ الإمام أبي علي الصدفي [220].

ولا مراء في أن من يضطلع بتدريس أبناء السلاطين والأمراء لابد له أن يكون على درجة عالية من العلم كي يتبوأ هذه المنزلة، وذلك ليس ببعيد عن المتصوف محمد بن إسماعيل ابن حرزهم [221].

وإذا كان ابن حرزهم قد وافق على تدريس الأمراء، فإننا نجد بعض المتصوفة رفضوا هذا الأمر رفضا تاما. فهذا داود بن يزيد الغرناطي السعدي رفض أن يُدرِّس أولاد السلطان فقال: "والله لا ألقيت العلم، ولا مشيت به إلى الديار" [222]. ولا غرو في ذلك، فمعظم متصوفة العصر مجال البحث كانوا يحاولون الابتعاد عن السلاطين والأمراء، حجتنا في ذلك أن المتصوف عبد الله بن المجاهد الإشبيلي (ت. **574**هـ/ **1178**م) لازم مجلس القاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي (ت. **543**هـ/ **1148**م) "نحو ثلاثة أشهر ثم ترك التردد إليه فقيل له في ذلك، فقال: كان يدرس ويغلته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان" [223]. وهذا ابن العريف عندما أُشخص إلى مراكش سأله السلطان إن كان له حاجة، فأجاب ابن العريف أن لا حاجة له سوى أن يدعوه يذهب إلى حيث يريد [224]. ويذكر ابن الزيات في ترجمة أحد متصوفة المرحلة مدار الدراسة أنه "لم يمش بقدمه في مظلمة ولا إلى باب سلطان" [225]. ومن جهته كان المتصوف أبو عبد الله المجاهد "مباعدا للملوك، مع شدة رغبتهم فيه، منافرا لهم، لا يقبل منهم قليلا ولا كثيرا". وهذا ينهض قرينة على أن متصوفة العصر المرابطي كانوا يتفادون الإتصال بالسلاطين، مما يدفعنا إلى القول بأنهم جعلوا من الإبتعاد عنهم مبدءا هاما من مبادئ سلوكهم اليومي [226]. ولنا أن نتسائل بهذا الصدد: لماذا كان يتشدد المتصوفة كل هذا التشدد في الابتعاد عن السلاطين والأمراء؟ بل إن البعض منهم كان ينفر حتى من الفقهاء والمتصوفة الذين كانت لهم علاقة مع السلاطين والأمراء، مثل الحالة التي وقعت مع أبي بكر بن العربي الذي نفر منه أحد المتصوفة بسبب تردده إلى السلطان.

نعتقد أن الإجابة على هذا التساؤل ينبغي البحث عنها في كتاب "إحياء علوم الدين" لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي. فقد كان متصوفة العصر المدروس يتخذونه دستورا في طريقهم الصوفي[227]؛ إذ نجد الغزالي يدعوا إلى تجنب مصاحبة السلاطين والأمراء، خاصة وأنه يحرم الطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى. وبالتالي فأصحاب هذا الاتجاه كان هدفهم الأسمى الزهد في الدنيا مالا وجاها، خططا ومباهج. إذن فمن انشغل فكره بالدنيا ومناصبها ولو بدرت منه خوارق وظهرت على يديه كرامات فليس من أولياء الله في شيئ. ومما يعزز رأينا أن الغزالي نفسه قطع على نفسه عهدا بألا يذهب إلى السلام على أي سلطان وألا يقبل منه أي مال أو عطية[228]. وبالتالي فإننا نؤيد ما ذهب إليه الدكتور عز الدين أحمد موسى عندما خلص إلى أن كتاب الإحياء كان مرشدا ومنهاجا لمتصوفة العصر المرابطي[229].

وأقرأ متصوف آخر القرآن بتلمسان محتسبا لله دون أجرة[230]، مثله في ذلك مثل الولي يحيى بن حجاج الفهري الذي كان "يُقرئ القرآن بل أجرة"[231]، وبالمثل كان المتصوف يحيى بن حجاج الفهري "يُقرأ القرآن بل أجرة"[232] كما أن متصوفا آخر"أقرأ الناس بطليطلة مدة"[233]، وبالمثل كان علي بن حمدين الثغلبي يعلم الناس القرآن في قرطبة[234]، وكان ابن الإلبيري يُقرئ الناس القرآن بالروايات السبع، وهذا ابن الروش كذلك يقرأ الناس القرآن[235]، وبالمثل كان عبد الله بن أحمد بن سعيد العبدري يُقرأ القرآن بإشبيلية[236]. وبالمثل كان بنفس المدينة المتصوف عبد الوهاب بن محمد بن عبد الملك اللخمي "يُدَرِّسُ القرآن بمسجد المرادي من اشبيلية"[237]، وهذا عياش بن عيشون ممن كان يُقرأ الناس بالجامع[238]، مثله في ذلك مثل المتصوف يحيى بن خلف بن النفيس الحميري الذي "كان يقرئ بجامع غرناطة ويروي الحديث"[239] وكان عليم بن عبد العزيز بن عبد الرحمن "أحد العلماء الحفَّاظ الفضلاء الزهاد، أقرأ القرآن ودرَّس الفقه وأسمع الحديث"[240]، في حين درَّسَ المتصوف الميورقي الحديث ببجاية[241].

هذا مع العلم بأن بعض المتصوفة قد كانوا مقصدا للعديد من الطلبة، فقد ورد أن الصوفي علي بن محمد بن علي بن هذيل كان يقصده الناس من كل مكان ويرتحلون إليه[242]، وهذا عمرو بن زكرياء بن بطال البهراني كان يُقرئ الناس "فقد رجل الناس إليه من كل مكان للأخذ عليه"[243].

بل إننا نجد المصادر تذكر أن بعض المتصوفة ألفوا العديد من الكتب والمؤلفات. فهذا ابن الزبير يقول عن المتصوف عتيق بن عيسى بن مؤمن الأنصاري أن "له تواليف" [244] لكنه للأسف لم يذكر لنا ماهي هذه التآليف التي كتبها هذا الصوفي، ولا طبيعتها، هل هي في التصوف أم في مجالات أخرى؟ وبذلك يكون قد ضيَّع علينا فرصة التعرف على مستوى الثقافة عند بعض متصوفة العصر مجال البحث [245].

وهذا محمد بن خلف بن أحمد بن علي بن حسين اللخمي له "مجموع في التصوف ذكر أنه كتبه بسجن مراكش، وفرغ منه آخر يوم من رمضان تسع وعشرون وخمسمائة" [246]، بينما صنف محمد بن خميس "في التصوف وما في معناه كتابا حسنا سماه المنتقى من كلام أهل التقى" [247]. ولاغرو في ذلك، فقد كان "رجلا صالحا فاضلا، صدرا في شيوخ الصوفية في وقته، معروفا بالإخلاص ذاكرا للرقائق" حسب تعبير ابن عبد الملك المراكشي [248].

وكان عبد الرحمن بن أبي الرجال "من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقق بعلم الكلام والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة وله تواليف مفيدة منها: كتاب في تفسير القرآن لم يكمله وكتاب شرح أسماء الله الحسنى" [249].

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا، أن متصوفة الأندلس كانوا أكثر علما من نظرائهم المغاربة، وذلك حسبما ورد في مختلف كتب المناقب والتراجم المغربية- الأندلسية، وكانوا أكثر تصنيفا للكتب أيضا من نظرائهم المغاربة. والنماذج التي ذكرناها آنفا تنهض حجة على ما ذهبنا إليه. فمن خلال إطلاعي على مختلف كتب التراجم التي عدت إليها- والتي تخص العصر مجال البحث- لم أجد ذكرا لأسماء مصنفات تعود لمتصوفة مغاربة، باستثناء كتاب للمتصوف أبي الفضل بن النحوي موسوم بـ"قبلة أهل المغرب" وهو مفقود- حسب حدود علمي- فهل مرد ذلك إلى كون التصوف في الأندلس كان أكثر نضجا من نظيره المغربي؟ أم أن كُتاب التراجم خاصة المغاربة منهم قد ضربوا صفحا عن هذا المجال؟ خاصة إذا علمنا أن معظم كتب متصوفة العصر المرابطي لم تصلنا. فهل السبب في ذلك يعود إلى الصراع بين الفقهاء والدولة المرابطية ضد تيار التصوف؟. أضف إلى ذلك أن متصوفة الأندلس قد ألفوا في مناح متعددة من التصوف عكس نظرائهم المغاربة الذين نجدهم ابتداءا من دولة الموحدين يهتمون بكتب المناقب. فهل لهذا الأمر مغزى ودلالة؟

لباب القول إن أولياء ومتصوفة الحقبة المرابطية لم يدخروا جهدا في سبيل نشر العلم بين العامة وتثقيفهم والأمثلة التي أوردناها أعلاه خير مثال على ذلك، وهي تفند ما ذهب إليه أحد الدارسين الذي وصف متصوفة العصر المدروس بأنهم كانوا أميين "فإذا كانت الأمية مثلا تعد نقيصة لدى عدد من الشعوب، فإنها لدى فئة الأولياء تُعد فضيلة" [250].

بل إننا نلاحظ أن متصوفة العصر المرابطي كانوا يقدرون العلم والعلماء [251]. ولعل الأمثلة التي أوردناها تنهض دليلا على بطلان الإدعاء الذي ادعاه الباحث.

مما سبق عرضه من أمثلة يتضح وبجلاء أن متصوفة العصر المرابطي كانوا على درجة عالية من العلم والتبحر في مختلف العلوم، سواء منها العلوم الدينية كالفقه، أو أصناف أخرى من العلوم كالنحو واللغة وغيرها من العلوم، وإن كان متصوفة الأندلس أكثر حظا من العلم من نظرائهم المغاربة. وبالتالي فلا غرابة إذن إن وجدنا منهم من كانت لهم حلقات للعلم يقصدها الطلاب والناس للأخذ عنهم والتلقي عليهم، أو أن نجد أن البعض منهم كانت لديهم مساجد تنسب إليهم يعقدون فيها حلقاتهم.

8- علاج المرضى [252]:

مما لا مشاحة فيه أن الناس قد اعتبروا المرض عقابا من الله أو مسًّا من الجن، وأن زواله رهين بعفوه ورضاه [253]- وهذا ينطبق على عصر المرابطين أيضا- وكانت كرامات الأولياء وسيلة إزاء هذا وذاك. ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن الشفاء كان يتم عبر عدة طرق. إما عن طريق الاتصال المباشر بين الصالح مصدر الشفاء وبين المريض. يكون ذلك الاتصال إما بواسطة اللمس المباشر [254]، أو بواسطة جزء من مكونات الصالح كريقه [255]، أو الهواء الصادر من فمه. وقد يكون كذلك بشيء سبق أن لامس الصالح، أو حتى بتراب قبره [256]. والملاحظ أن هذا الشفاء بتراب قبر المتصوف قد يكون حتى بعد وفاة الشخص المُستشفى بتراب قبره، حجتنا في ذلك أن الشيخ أبا يعزى كانت "كراماته بعد مماته كمثل حياته" [257].

فهذا المتصوف عُليم بن عبد العزيز كان الناس يتبركون بقبره، وكذا بتراب قبره [258]، بل وكان يُستشفى به للمرض حسبما يذكر ابن الزبير في ترجمته [259]. وبالمثل كان الناس يفعلون مع الولي علي بن محمد بن علي بن هذيل [260]، وكان يستشفى به للمرض [261]. ومما تجدر الإشارة إليه أن الناس ظلوا يتبركون بقبر الولي محمد بن جعفر بن خيرة إلى أن

سقطت مدينة بلنسية في يد المسيحيين سنة 636هـ [262]. مما يدل أن الناس كان لهم اعتقاد راسخ بأن بركة الأولياء والمتصوفة لا تنقطع بموتهم، بل باقية وراسخة مادام قبر هذا الولي أو ذاك موجودا.

وفي هذا الصدد نجد أن كثيرا من الأولياء والمتصوفة قاموا بأدوار مهمة في علاج بعض الأمراض. والملاحظ أن بعض هذه الأمراض تكون قد استعصت على الأطباء، ومع ذلك؛ فإننا نجد المتصوفة يستطيعون علاج أصحابها بفضل بركتهم. وذلك حسبما تورد نصوص تراجمهم.

فقد كان ميمون الصحراوي اللمتوني من أهل الصلاح والطب الروحاني [263]، أما بخصوص الولي يعلى أبي جبل، فقد ورد بأنه نجح في علاج طفل صغير كان قد أصيب في رأسه بقروح لم ينفع معها علاج [264]، وبالمثل نجد أن طفلا بلغ أربعة أعوام ولم يقدر على الكلام، فأشير على أبيه بزيارة ابن حرزهم، فزاره ودعا لابنه بالشفاء، فرجع الأب إلى أهله "فتلقاه الناس يهنؤونه بكلام ابنه" [265]. هذا، وقد تمكن من معالجة امرأة مقعدة [266]. بينما نجح أحد المتصوفة من إشفاء صبية من برص عجز أطباء فاس من علاجه، وذلك بواسطة مسح ريقه على موضع البرص [267]. كما أن الولي أبا يعزى اشتهر بعلاج الأمراض المستعصية فقد تمكن من معالجة جارية من مرض العمى وذلك عن طريق مسح عينيها بيده [268]. في حين تمت معالجة رجل أعمى، وهذه المرة بواسطة رقعة من برنوسه، أمره بإحراقها في النار وأن يكتحل برمادها [269]. كما أنه اعتاد على معالجة كل من يقصده من الناس، وذلك عن طريق التفل عليه [270] وكذا بواسطة مضغ الدفلى [271] وإعطائها للمريض [272]. كما أنه اشتهر بمهاراته في علاج أمراض الصرع والمقعدين [273] "فكان يوتي بالمجانين فيقول للمجنون: أنظر إلى كفي، وهو باسط كفه يحركها. فإذا نظر إليها صرع لحينه، ثم يأمر الجن بالخروج فيخرج ولا يعود ويبرأ المجنون" [274]، وفي السياق ذاته في رواية أخرى" أنه أُتي إليه برجل وامرأة مجنونين[...] فاستقبله الشيخ بكفه يبسطها ويهزها، فصرع لحينه، ثم قال للجن[...] اخرج[...] ففتح فم الرجل ثم تفل فيه وأمسك يده على فمه طويلا وهو يسمع منه بصوت ضعيف كصوت المخنوق: اخرج، اخرج. وهو يقول: لا، إلى أن خرج الدم على فم الرجل، فخلى يده، فسري عن الرجل وأفاق واستوى جالسا يقول: الحمد لله رب العالمين. وأقبل على المرأة فأراها كفه وحركها فصرعت، ثم قال له: افغ قال:

نعم. وما راجعه لما اتعظ بغيره"[275]، وأخرى تقول أن "أمة مجنونة جاء بها مولاها للمسجد وليس الشيخ فيه فجاء الشيخ فوقف إليه سيدها وسلم عليه وقال له شكايتها، وبيده عصاه، فقال للأمة: انظر. ثم بسط كفه وأصابعه وأمسك عصاه بالإبهام والسبابة، فصرعت لما نظرت إليه من حينها، ثم ناحت، فصاح بها: أتنوحين في بيت الله، ولولي ولولي، فولولت ثم دعا لها، فبرئت"[276].

وتجدر الإشارة أن الكثير من العوام كانوا يفدون إليه فيأتيه البعض منهم بإناء زيت أو بقية طعام ليبلله بريقه، أو يعطونه خيطا يعقده أملا في الشفاء. وفي موضع آخر شُفي رجل من آكلة أصابته في وجهه، ببركة الولي أبي يعزى[277]. وفي رواية أخرى دخل أحدهم إلى المسجد فوجد الناس في حالة خشوع وبكاء فلما استفسر عن السبب "أشاروا إلى صبي، فقالوا: هذا الصبي جيئ به محمولا مقعدا من وركيه فدعا له الشيخ ثم تفل في يده وجرها على وركيه ثم أخذ بيده فاستوى قائما، فنظرنا إلى الصبي يمشي متثاقلا بطيئا كما يمشي الصبي حين يأخذ رجليه بعد الحبو"[278].

واستطاع الولي أبو محمد عبد الله بن معلى أن يعالج عين أحدهم ضربته سكين في إحدى عينيه وأخبره الأطباء بأنها فسدت لكن الشيخ عبد الله بن معلى استطاع معالجتها[279]. بينما استطاعت امرأة مقعدة من النهوض بفضل بركة دعاء أحد المتصوفة[280]، وهناك رواية مثلها حدثت مع الولي ابن حرزهم[281].

وفي السياق عينه تفلت إحدى الصالحات على عين أحدهم فأبصر وقد كان أعمى[282]. واستطاع الولي أبو يعزى معالجة الولي أبي مدين شعيب من العمى[283]. وبالمثل فقد استطاع المتصوف أبو محمد بن عبد الله بن حريز المعروف بابن تاخميست[284] أن يُشفي أحدهم من مرض ألم به[285].

وكان الولي أبو يعزى يعالج النساء بلمس صدورهن وبطونهن ويتفل عليهن[286]، رغم أن الفقهاء أنكروا عليه صنيعه هذا، مما أدى إلى تدخل الولي أبي مدين شعيب، الذي دافع عن الشيخ وأيده[287].

وقد استمرت هذه الأفكار إلى يومنا هذا، فظاهرة التجاء الناس للصلحاء للتداوي لاتزال حاضرة في أذهان الناس. فكثيرا ما نجد الناس يلتجؤون لقبور بعض الأولياء قصد

معالجة بعض الأمراض التي استعصت على الأطباء، سواء كانت أمراض عضوية أو نفسية، فيكون السبيل الوحيد هو الالتجاء إلى الطب الروحاني المتمثل في قبور الأولياء.

إن المتأمل للنصوص الواردة معنا سابقا ليستنتج أن عامة ساكنة المغرب والأندلس عصر الدولة المرابطية كانوا يبحثون عن العلاج للأمراض التي كانت تصيبهم. ومما يدعم افتراضنا هذا بالإضافة إلى ما ورد في متن البحث؛ نذكر أن سكان الأندلس قد انتشر بينهم مثل يقول "خلق الله الدا وخلق الدوا" [288] وهو تعبير واضح عن الاعتقاد في العلاج واللجوء إليه عند الحاجة.

ومما يجدر بنا ذكره أن المتصوفة لم يقتصروا على معالجة المرضى من البشر فقط وإنما كانوا يقومون بمعالجة الحيوانات أيضا. فالمصادر التي بين أيدينا تزخر بالعديد من النصوص التي تصب في هذا المجال. دليلنا في هذا أن الشيخ أبو زكريا يحيى بن لا الأذى كان يقطع شجر سدر فصادف رجل قنفذ وكسرها، وآله ذلك وحز في نفسه، فعمد إلى ربط رجل القنفذ بجبائر، وأخذ يرعاه ويطعمه إلى أن انجبر [289]. في حين نجد المتصوف أبا يعزى استطاع أن ينقد حمارا من الموت بحيث" فتح فمه فبصق فيه فقام من حينه لا بأس عليه" [290]، هذا فضلا عن روايات أخرى تصب في نفس الاتجاه [291]. وهذا يدل على جانب الرحمة والعطف التي ميزت متصوفة العصر المرابطي.

ومما تجب الإشارة إليه أن زيارة قبور الأولياء والتبرك بهم التي نجدها في المصادر التي أرخت لهذا العصر قد قوبلت برفض شديد من طرف فقهاء الدولة المرابطية، بل ومنهم من عدها بدعة [292].

9- الدور الديني:

مما لا شك فيه أن الدور الديني للمتصوفة والأولياء، يعد من بين أهم الأدوار التي لعبوها داخل مجتمعاتهم. حجتنا فيما نذهب إليه أن أغلب الكرامات التي يوردها التميمي وابن الزيات- وغيرهما من مؤلفي كتب المناقب- تؤكد حرصهم الشديد على القيام بالفرائض الدينية وعدم التساهل في تطبيقها وإعطائها مدلولها الصحيح [293].

ومن الملاحظ أن ممارساتهم كانت فردية لا تلزم إلا الفرد نفسه [294]، وبالتالي يجب الإقرار بأن الدور الديني للأولياء والمتصوفة كان يتجاوز مستوى الاعتناق والحرص على الشعائر الدينية إلى ماهو أعمق، أي إلى ترسيخ الدين كعقيدة وأخلاق اجتماعية

وممارسة[295]، بحيث يمكن القول بأن الدور الديني سيكون مفتاحا لدور آخر سيزيد من تعزيز مكانة المتصوفة في المجتمع ويضفي عليه صفة الفعالية، وذلك الدور يكمن في تثبيتهم لجملة من الأخلاق الدينية ذات البعد الاجتماعي انطلاقا من ممارساتهم السلوكية التي كانت تهدف إلى تقويم الأفراد والمجتمع أخلاقيا[296]. ولا غرو في ذلك، فقد حملت مبادراتهم في هذا المجال طابع العمل الفردي من خلال إعطاء المثل والقدوة الحسنة.

وقد تكررت في كتب المناقب الأمثلة التي تؤكد تداخل مواصفات رجال التصوف الذاتية، حيث لم تقف المفارقات الفكرية بين هذا الصنف وذاك، مادام الأمر يتعلق بممارسات سلوكية دينية ذات بعد تقويمي أخلاقي في إنجاز ما يرونه متناسبا مع جوهر الدين[297]، سواء تعلق الأمر بالفرائض الدينية كالصلاة، الزكاة، الصوم، والحج، بإعطائها مدلولها الصحيح. ويكفي أن نشير إلى أن من بين رموز مكاشفات أبي يعزى ما يتعلق بالوضوء قبل الصلاة[298]، وأن من بين مزايا الشيخ أبي عبد الله التاودي المهدوي "أن له مدة من أربعين عاما[...] ما فاتته صلاة في جماعة بالمسجد الجامع"[299]، أما مناقب أبي العباس السبتي فكانت تدور كلها حول المدلول الواسع للزكاة[300].

هذا، ونجد أن المتصوفة في العصر المدروس قد حرصوا كل الحرص على أكل الحلال، وكانوا يتشددون في هذا الأمر. فقد اكتفى أحد المتصوفة بالبحث عن أجباح النحل واصطياد الحوت من سواحل البحر[301]، وهناك من كان يحمل قفة كبيرة فيجمع فيها بقل البرية وما يلفظه البحر من مباح الأكل فيبيعه ويشتري بثمنه خبزا[302]، والبعض الاخر كان لا يأكل إلا من مال صديقه لعلمه بطيب مكسبه كما كان يفعل المتصوف عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك الأزدي[303]. في حين لم يكن المتصوف محمد بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري "لم يكن يسمح لأحد في التعرض إليه بهدية أو تحفة قَلّت أو كثرت لا من الملوك ولا من غيرهم على اختلاف طبقات الناس إلا من آحاد من بعض خلصانه ممن تحقق طيب مكسبهم، وذلك في النزر اليسير والنادر من الأوقات"[304].

أما ابن الميلي فقد رغب إليه رؤساء المراكب المتجهة إلى الحج أن يرافقهم لفضله وورعه وتبركا به، فاشترط عليهم أن يصبحوا معه كل من يريد أن يركب من المساكين ممن يتوجه إلى مكة دون أن يقبضوا منهم درهما[305]. وسيتعزز هذا الدور مع الولي أبي محمد صالح في العصر الموحدي، إذ كان له دور طلائعي بالنسبة لتسهيل انتقال المغاربة لأداء فريضة الحج إذ

"أجمع فضلاء المغرب خصوصا وعموما على أن الشيخ رحمه هو الذي فتح الله تعالى طريق الحج على يديه حتى حجه كل عاجز وقادر عليه" [306]. كما أنهم كانوا يكثرون في العبادة والتجهد ليعطوا القدوة لكافة الناس، وحسبنا دليلا إلى ما نذهب إليه أن المتصوف أبو عبد الله محمد بن علي كان يقضي الليل "يقرأ ويردد الآية بعد الآية ويبكي" [307]، في حين كان أبو زكريا يحيى بن محمد بن صالح الجرطاوي من بلد هسكورة "عبدًا صالحًا مجتهدًا كثيرَ البكاء والخوف من الله تعالى، وما زال يبكي إلى أن سقطت عيناه من كثرة البكاء، فلما عمي ضاعف عبادته، وأوراده" [308] وكان أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي "شديد الصفرة من كثرة الصيام والعبادة" [309]، بينما نجد أحدهم كان يقضي الليل "منتصبا في مصلاه كأنه وتد مضروب في الأرض من طول القيام" [310]، هذا؛ مع العلم أن ابن الزيات يذكر في التشوف أن أبا الفضل بن النحوي اختلى في أحد البيوت ليصلي، فأخذ ابنه السراج وأدناه من عينيه فلم ينتبه إليه ولم "يحس به لحضوره مع الحق وغيبته عن الخلق" [311]، أما الولي أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي فكان إذا وقف في صلاته يطيل القيام حتى سمي بأبي السارية [312]. وهذه المجاهدة والتعبد، بل والمبالغة فيهما كانت لها آثار واضحة على المجتمع، فقد انبهر بهذه التصرفات عامة المجتمع سواء المريدين أو غيرهم وأثرت عليهم، فجعلت من هؤلاء المتصوفة قدوة يقتدي بها الفرد في العصر مجال البحث.

والملاحظ أن الدور الديني لرجال التصوف لم يقتصر على تلك الفرائض، بل انطلاقا منها عملوا على تثبيت جملة من الأخلاق الدينية ذات البعد الإجتماعي [313]. فعلاوة على مناهضة الانحرافات الاجتماعية بالتصدي لأهل الدعارة والفساد [314] ومحاربة اللصوصية [315]. ففي هذا الصدد ذكر العزفي أن الشيخ أبا يعزى تمكن من التعرف على لص بمجرد وصوله إليه مع جماعة من الناس فقد "نهره وأخرجه من المسجد[...] ففر أمامه، ثم لاذ به الحاضرون يسألونه عن السرقة، فقال لهم: كنت ليس لي حزام فمررت بزوج في جهة مكناسة وليس معهما أحد فحللت الشبي منهما، وهو الشراك من جلد البقر، فاحتزمت به" [316]، في حين يذكر التميمي أن لصا حاول اغتصاب ملابس أحد الصلحاء لكن هذا الأخير نجح في وعظه وهدايته فتحول من قاطع طريق إلى متصوف زاهد، بينما نجد أن الولي عبد العزيز "كان ممن يغير المنكر" حسبما يصفه ابن الزبير في صلته [317].

هذا، مع العلم أن الشيخ أبو يعزى تميز بميزة خاصة إذ عُرف عنه أنه كان يفضح الخائنين. ففي هذا الصدد أتى إليه رجل "وسلم عليه فقال له أبو يعزى: لم تخون أخاك وتأتي زوجه وهو غائب؟ فقال له الرجل: أتوب إلى الله تعالى من ذلك" [318].

واستطاع المتصوفة تهذيب أخلاق المرأة [319]، بل إن كثيرا ممن كانوا مغنين وراقصين في الأعراس أصبحوا في عداد الأولياء والأقطاب [320]، أو تابوا على أقل تقدير [321]. وكذلك عمل المتصوفة على منع أسباب ذيوع المسكرات بأشكالها المختلفة [322]، وسنوا عدة عادات تسير في نفس الاتجاه كبناء المساجد بالبوادي [323]، وجعل الرباطات مجالا للتربية والتلقين، وفي ذات الوقت مكانا للوعظ والإرشاد.

وقد كان لهذه المؤسسات تأثير كبير في بث الآداب والأخلاق الدنية، خاصة إذا علمنا أنها كانت مقصدا لمئات الزوار كرباط شاكر، خاصة في القرن السادس الهجري. فقد كان أبو محمد تيليجي بن موسى الدغوغي من بلاد دكالة "واعظا برباط شاكر في وقت لا يصعد منبر جامع شاكر إلا الآحاد" [324]، وقد سنوا للمريدين عدة سير، كالذكر وهو قولهم "يالله يا رحمان يا رحيم" ويستعملونه في الأسفار، وكاجتماعهم بعد صلاة المغرب وقبل صلاة الصبح وبعدها ثم بعد صلاة العصر بالرباط لقراءة الوظيفة. ولم تكن اللغة حائلا في تبليغ المواعظ، فقد يُستعمل اللسان البربري لتحقيق ذلك [325]. وبالتالي فلا غرو إذا وجدنا من الباحثين من يرى بأن دور متصوفة المغرب اقتصر على الجانب الأخلاقي فقط [326].

مما سبق يمكن القول بأن التصوف في حقيقته عبارة عن مجموعة من المبادئ المتكاملة التي تحكم تصرفات أصحابه في مختلف أوجه حياتهم- الروحية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية- وتطبعهم بطابع خلقي خاص. لذلك نجد أن التصوف اهتم اهتماما كبيرا بالتربية الأخلاقية إلى جانب التربية الروحية لارتباطهما ببعض ارتباطا وثيقا، فلا حياة روحية دون حياة أخلاقية. ولما كانت هذه من واجبات التصوف الأساسية فقد أدى ذلك إلى قيام متصوفة العصرالمرابطي بمحاولة تنشئة المجتمع وتربيتهم تربية دينية وروحية واجتماعية، وذلك عن طريق تهذيب سلوكهم وتنقية نفوسهم بإكسابهم أنماطا سلوكية وقيما دينية تتفق مع الآداب والأخلاق الإسلامية. ولذلك نقول إنه يرمي إلى إحياء مثاليات وأخلاق وقيم المجتمع. وهذه القيم والأخلاق هي الرباط بين الناس جميعا، تُنَمِّي وتُقَوِّي بينهم العلاقات السليمة، وتحقق عوامل الإخاء والصفاء والمودة المتبادلة.

إن سيرة الأولياء تعتبر في حد ذاتها مرجعية، وذلك من حيث القدوة الحسنة والسلوك القويم، وبذلك فإن المؤمن يقتفي أثر هؤلاء الصلحاء لعل الله يصلح أمره فيجد من صفتهم التي تميزوا بها في نفسه شيئا منها. دليلنا في هذا أن الولي أبو مدين شعيب استطاع أن يخرِّج ألف تلميذ [327]، في حين استقطب أبو يعزى حوله ألوفا مؤلفة، وقد "انتهت إليه تربية الصادقين والناسكين بالمغرب" [328] بينما هدى الله خلقا كثيرا بسبب الولي ابن حرزهم [329]، أما علي بن خلف الأنصاري، فبمجرد ما استقر في قصر كتامة "صار إمام الصوفية وقدوتهم يقصدون إليه ويهتدون بآثاره ويقتبسون من أنواره" [330].

ولا يعزب عن بالنا الدور الهام الذي قاموا به في نشر الديانة الإسلامية وتعاليمها [331]. فقد استطاع الولي أبو يعزى من إدخال أحد المسحيين في الإسلام، وكان الولي أبو مدين شعيب من الأقطاب اللذين يُلجأ إليهم لحل المعضلات العقائدية [332]. فقد ذكر ابن قنفذ أن جدالا وقع بين طلبة العلم في بجاية حول حديث نبوي، فاستطاع هذا الولي أن يحل ما أشكل عليهم، واستطاع كذلك أن يحكم بين رجلين في صلاتهما [333].

وهذا زمور بن يعلى الهزرجي "كان بدكالة وحضرت صلاة العيد، فخرج الناس لمسجد الصلاة فوقع بين الناس الخلابة الكثير في سمة القبلة، فقام من بينهم الشيخ محمد وقال: يا هؤلاء العيان هذه الكعبة، هذه الجهة هاهي تتلاعب الرياح بأستارها وأشار بيدها بيده" [334]، ناهيك عن ارتباطهم بالحصون والرباطات قصد مقارعة الخطر المسيحي. هذا مع العلم أن العديد من رجال التصوف انصب نشاطه على تصحيح الإسلام وبث المبادئ الإسلامية إلى جانب محاربتهم للبدع.

بالإضافة إلى هذا، قام المتصوفة بمساهمة فعالة في عملية التعريب الشعبي للبادية المغربية وبعض المناطق النائية من المغرب والأندلس سواء ثم ذلك بإسهامهم في تحفيظ القرآن الكريم وقراءته جماعيا، أو عن طريق الإسهام في نشر الثقافة الإسلامية العامة الشفهية عند غير القارئين عن طريق مجالس الذكر الجماعي [335]. وغير خاف أن المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه للملأ كان هو الضامن لبقاء أصول الدين وخلود اللغة العربية وانتشارها [336]. ولا ننسى المساهمة الفعالة التي ساهمت بها مؤلفات المتصوفة من تفاسير وشروح للقرآن الكريم والعقيدة، وتنظيم حلقات المريدين من دور في فتح بصيرة العامة حول قضايا دينهم، وتقريبه من أذهانهم [337].

يتضح إذن أن متصوفة العصر مجال البحث كانت لهم يد السبق في التأليف في المجال الصوفي، لكن مما يؤسف له أن جل هذه المؤلفات إما عفى عنها الزمن، أو أنها لاتزال قابعة فوق رفوف الخزانات والمكتبات لا تصل إليها أيدي الباحثين. وعليه لن نبالغ إذا ما نحن قلنا بأن الإنتاج الصوفي الأندلسي- المغربي بحاجة إلى مزيد من العناية والإهتمام تحقيقا ودراسة ونشرا. فالتأريخ والتنظير للفكر الصوفي الأندلسي- المغربي، وخاصة منذ نشأته إلى عصر المرابطين، لا يزال في حاجة إلى الكثير من الدرس. فرغم المجهودات المبذولة من طرف الباحثين في التصوف بكلا القطرين، سواء من طرف الباحثين المغاربة والعرب والإسبان وغيرهم ممن اهتم بالتصوف في المغرب والأندلس، رغم ذلك؛ فإن الملاحظ أن التصوف في كليهما ما يزال في حاجة ماسة إلى توفير النصوص ونشرها وتقديم الوثائق والعثور على المصادر، وذلك ليكتمل التأريخ للتصوف الأندلسي- المغربي توثيقا ودراسة وتحقيقا وتنظيرا.

ولا يمكن إغفال الدور الهام الذي قام به المتصوفة، والمتمثل في دروس الوعظ والإرشاد سواء تم ذلك في الرباطات أو في أماكن أخرى. وفي هذا الصدد نرى أن الولي علي بن حسين بن محمد كان "يعظ الناس بالمساجد" [338]، كما أن المتصوف محمد بن أحمد بن عيسى بن هشام انتقل من فاس إلى جيان "فجلس فيها بمسجدها المنسوب إليه للوعظ والقصص وإيراد حكايات الصالحين" [339] وكان ابن الإلبيري "كثير الوعظ للناس" [340]، وبالمثل كان قاسم بن محمد القيسي يعظ الناس في حلقته [341]، أما الولي محمد بن أحمد الأموي فإن المصادر تصفه بأنه كان كثير الوعظ للناس [342]. وهذا عليم بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن هانئ العمري من أهل شاطبة كان "يجلس للعامة فيعظهم ويعلمهم دينهم" [343]، وقد نفع الله تعالى بنصحه "خلقا كثيرا" [344]. وهذا محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام الخزرجي كان واعظا يورد قصص الصالحين [345]. وكان للشيخ الولي أبي مدين شعيب "مجلسُ وعظٍ يتكلّم فيه على الناس من كلِّ جهةٍ" [346]

بينما كان عياش بن فرج "يُدَرِّسُ بمسجد أم هشام ويجلس يوما في كل جمعة يعظ فيه الناس، فنفع الله به خلقا كثيرا" [347]، وكان محمد بن أحمد بن إبراهيم يجلس بمسجد جيان المنسوب إليه "للوعظ والقصص وإيراد حكايات الصالحين" [348]، وكان علي بن حسين بن محمد "آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر يعظُ الناس في المساجد ويُذكِّرُهم، فتنفعل نفوسهم لما

كانوا يعلمون من دينه وصدق يقينه"[349]. وهناك من المتصوفة من كان يعظ الناس وهو صامت، فهذا علي بن خلف بن غالب كان يعظ الناس وهو صامت وذلك "مما غلب عليه من الحضور ومراقبة الله تعالى"[350].

إن سلوك المتصوفة هذا، جعل العديد من شرائح المجتمع تنبهر بهم وتتبعهم، بل وتقتدي بهم. ونتفق مع أحد الدارسين حينما اعتبر الحلقات العلمية الخاصة أو العامة التي عرفتها الأندلس هي أكثر مجالات التدريس أثرا في المجتمع[351]. حجتنا في ذلك أن الولي أبو مدين شعيب استطاع أن يخرِّج ألف تلميذ[352]، في حين استقطب أبو يعزى حوله ألوفا مؤلفة، بينما يذكر ابن القاضي في جذوته أن الله هدى خلقا خلقا كثيرا بسبب الولي ابن حرزهم[353]. وهذا ما حذا بالدكتورة منويلا مارين إلى القول بأن "مهمة الواعظ مختلفة تماما عن مهمة الخطيب، لأنها لا تتوقف في المقام الأول على أي تعيين رسمي، وليست مقننة من جهة أخرى بأية قاعدة. وكان القصد من هذا النوع من الوعظ أو الإرشاد، إذكاء المشاعر الدينية للمستمعين وجعلهم يسلمون، وذلك باستعمال أساليب خطابية تختلف كثيرا عن تلك التي تستخدم في الخطبة"[354].

إذا كان الأمر والحالة هذه، فإن بعض الدراسات الحديثة وإن اعترفت بهذه الأدوار التي أنيطت برجال التصوف في العصر الوسيط، ومن ضمنهم متصوفة العصر المرابطي- مع ذلك- فإنها تُسقط بعض المفاهيم المعاصرة على هؤلاء وتحملهم ما لا يطيقونه. فنجد أحد الباحثين يقول: "على الرغم من أهمية الدور التكافلي الذي اضطلع به الأولياء زمن الكوارث المناخية بالمغرب والأندلس، فقد أسهموا دون قصد في إفشال تطور الإحتقان الاجتماعي إلى نواة احتجاج واعية، كان من شأنها إحداث طفرة نوعية في إشاعة لغة الحقوق والواجبات، وترسيخ سلوك محاسبة المسؤولين في إدارة الشأن العام، وخاصة في الفترات العصيبة التي تتزامن مع الكوارث الطبيعية أو تعقبها"[355]. نعتقد أن مثل هذه المفاهيم من قبيل "الإحتقان الاجتماعي" و "نواة احتجاج واعية" و "لغة الحقوق والواجبات" و "ترسيخ سلوك محاسبة المسؤولين في إدارة الشأن العام"، كها مصطلحات لم تكن واردة في عقلية متصوف العصر الوسيط، ولا في عقلية إنسان العصر الوسيط بصفة عامة، وهي مفاهيم برزت بعد القرن الثامن عشر مع الدولة الوطنية الحديثة، وعصر الأنوار. لذلك نبادر بالقول بأن هذا الطرح لا ينسجم بتاتا مع عقلية متصوف العصر الوسيط، الذي كان همه

الوحيد مساعدة المحتاجين والمعوزين، ولم يكن يُفكّر في تأليب المجتمع ضد السلطة [356].
هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية فإن ما أثار انتباهي في هذه الدراسة وغيرها، أنها تجعل عمل المتصوفة هذا- أي دورهم الاجتماعي- متسم بالظرفية. في حين أن المتأمل للنصوص يرى عكس ذلك، فأدوارهم داخل مجتمعاتهم سواء في المغرب أو الأندلس لم تكن مرتبطة بالكوارث الطبيعية أبدا، ولم يكن عملهم هذا متسم بظرفية بعينها دون أخرى، بل إننا نجزم- استنادا إلى النصوص التي مرت معنا- أن سلوك المتصوفة هذا كان عملا شبه يومي، فمتصوف العصر المرابطي بالمغرب والأندلس لم يكن ينتظر زمن التقلبات المناخية والكوارث الطبيعية، وانتشار الأوبئة والمجاعات والآفات، وانحباس المطر وغيرها من الجوائح التي كانت تصيب إنسان العصر الوسيط كي يتدخل في المجتمع، بل على العكس من ذلك تماما. فمتصوف العصر الوسيط كان يتدخل كلما احتاج إليه المجتمع. وعليه فلا يمكن للباحث حصر أدوارهم الاجتماعية بزمن الكوارث فقط، لأن ذلك يتنافى تماما مع عمل المتصوفة الذي جبلوا عليه لا في العصر المرابطي فحسب بل على امتداد تاريخ المغرب. هذا من ناحية، أما من ناحية ثانية؛ فالمتأمل جيدا للنصوص التاريخية ليدرك أن هذه الأعمال التي اضطلع بها متصوفة العصر المرابطي لم تكن وليدة ظرفية معينة ولم تقتصر زمن الكوارث الطبيعية والآفات، بل كانت يومية.

ويمكن القول إن عملية الوعظ والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كانت تُبث في مجالس الوعظ، كانت وسيلة من الوسائل الناجعة التي فرضها وأقرها الإسلام على المسلمين وبالأخص على العلماء وذلك قصد توطيد كيان المجتمع الإسلامي ودعم أركانه وصيانته من عوامل الفساد، ناهيك عن إصلاح ما يعتوره من انحرافات وتجاوزات. وهذا ما حاول فعله متصوفة العصر المدروس في المغرب والأندلس، فقد اختصوا بوعظ الناس وتذكيرهم والنصح لهم.

خاتمة:

صفوة القول، لم يكن تصوف المغرب والأندلس عصر الدولة المرابطية ذو نزعة سلبية، يقوم على اعتزال الناس واجتنابهم وعدم الإكثرات بأمورهم، بل على العكس من ذلك تماما. إذ يتضح أن التصوف في هذه الفترة كان نزعة إيجابية نشيطة وفعالة في المجتمعين المغربي والأندلسي، إذ نجد المتصوفة يهتمون بشؤون هذين المجتمعين ويسهمون في حركيته الحياتية،

بل ويعنون بشؤون أفراده وبحياتهم وأحوالهم. وبالتالي يحق لنا أن نتسائل: هل كانت كرامات الأولياء في العصر مجال البحث تحاول تأسيس النبوة فتظهر الكرامة لديهم كاقتفاء ومحاكاة لطبيعة المعجزات؟.

الاحالات:

[1]_ أحمد بوكاري: الزاوية الشرقاوية: زاوية أبي الجعد، إشعاعها الديني والعلمي، الدار البيضاء **1985**، ج **1**، ص **14**.

[2]_عبد الجليل لحمنات: عبد الجليل لحمنات: التصوف المغربي في القرن السادس الهجري، مقدمة لدراسة تاريخ التصوف بالمغرب، د. د. ع. كلية الآداب الرباط، **1989– 1990** (نسخة مرقونة)، ، ص **270**.

[3]_التميمي، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفاسي، (ت. **603** أو **604** هـ): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس و ما يليها من البلاد، دراسة وتحقيق محمد الشريف، الرباط، **2002**، ج **1**، قسم الدراسة، ص **211**.

[4]_ابن الزيات التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت.**627**هـ): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، **1984**، ص **245- 246**، ترجمة **99**.

[5]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **183**، ترجمة **59**.

[6]_هذا الولي هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الهواري.

[7]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **153**، ترجمة **38**.

[8]_ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت.**578**هـ): كتاب الصلة، نشره وصححه، عزت العطار الحسيني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط **2**، **1994**.ج **2**، ص **413**.

[9]_ نفسه، ص **570**.

[10]_ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق، د. روحية عبد الرحمان السويفي، م. س، ص **144**.

[11]_ الضبي: بغية الملتمس... م. س، ص **144- 145**.

[12]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد الأنصاري الأوسي (ت.**703**هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، قسم **1**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، **1965**، ص **228**،_التادلي، أحمد الصومعي: كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب أكادير، سلسلة الأطروحات والرسائل رقم **6**، **1996**، ص **202**.

[13]_ الضبي: بغية الملتمس... م. س، ص **202- 203**.

[14]_ الضبي: بغية الملتمس... م. س، ص ، ص **292**، ترجمة **893**.

[15]_ الضبي: بغية الملتمس... م. س، ص **292**، ترجمة **893**.

[16]_ ابن بشكوال: الصلة...م. س، ج **1**، ص **196**.

[17]_ نفسه، ص **274**.

[18]_ الضبي: بغية الملتمس...م. س، ص **362**.

[19]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م، س، السفر، **8**، ق، **1**، ص **327**، ولا نعدم من المثلة التي تؤكد على هذا الدور، أنظر: ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م، س، السفر، **8**، ق، **2**، ص **406**، ترجمة **186**، أبو

جعفر أحمد بن إبراهيم بن الثقفي العاصمي (ت. 708 هـ): صلة الصلة، القسم الرابع، تحقيق، د. عبد السلام الهراس والشيخ سعيد أعراب، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1994، ص 172_ 173، ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م، س، السفر، 5، ق، 1، ص 430، ترجمة 740، ابن الأبار: التكملة...م. س، ج 4، ص 44، ترجمة 127، ونفس المعلومات نجدها لدى ابن الزبير في: صلة الصلة، القسم الأخير، ص 162، ترجمة 318، التنبكتي، بابا أحمد بن أحمد بن عمر بن أقيت بن عمر السوداني (ت. 963هـ): كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف و تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص 348- 349، ترجمة 452. ابن الزبير: صلة الصلة، ج 3، ص 240، ابن الزبير: صلة الصلة، ج 3، ص 240.

[20]_ أنظر ترجمته في التميمي: المستفاد...م. س، ص 64 – 65، ترجمة 12.

[21]_ نفسه، ص 64.

[22]_ نزيل فاس وأصله من المهدية. أنظر ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 332 - 334، ترجمة 168، ابن القاضي: جذوة الاقتباس...م. س، ص 273 – 374، ترجمة 280، التميمي: المستفاد...م. س، ص 87 - 90، ترجمة 26، الناصري: الإستقصا...م. س، ج 2، ص 213.

[23]_ أنظر المستفاد...م. س، ص 88. التشوف...م. س، ص 332.جذوة الاقتباس...م. س، ص273. روض القرطاس .م. س، ص 270، حيث حددت المبلغ نحو 40 ألف دينار، إلا المستفاد الذي لم يذكر شيئا من ذلك.

[24]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 88، ترجمة 26.

[25]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 89.

[26]_ أنظر ترجمته في المستفاد...م. س، ص 124 - 125، ترجمة 44.

[27]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 125.

[28]_ أنظر ترجمته في المستفاد...م. س، ص 126 - 129، ترجمة 45.

[29]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص، 127.

[30]_ ترجمته في التميمي: المستفاد...م. س، ص 132، ترجمة 48.

[31]_ نفسه، ص 132.

[32]_ أنظر ترجمته في التميمي: المستفاد...م. س، ص 145- 153، ترجمة 58.

[33]_ نفسه، ص 144.

[34]_ أنظر ترجمته في: القاضي عياض: الغنية، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982، ص 226، ابن بشكوال: الصلة...م.س، ص، 626، الضبي: بغية الملتمس، ص 492، طبعة دار الكتاب العربي 1967، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق د روحية عبد الرحمن السويفي، ص429 - 430، ترجمة 448، ابن فرحون: الديباج المذهب...م. س، ج 2، ص 17، ابن الزيات: التشوف...م. س، ص105- 108، ترجمة 11.

[35]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 106، ترجمة 11.

[36]_ أنظر ترجمته في: ابن الزيات التشوف...م. س، ص 113، ترجمة 14. والغريب في الأمر أن بعض الباحثين يرون أن تركيز مؤلفي كتب المناقب على ذكر صفة أسود في تراجمهم دليلا على أن هؤلاء كانوا ينحدرون من طبقات هامشية، أحمد التوفيق: التاريخ وأدب المناقب...م. س، ص 86.

[37]_ أنظر ما ورد في ترجمته في التشوف، ...م. س، ص **113**، ترجمة **14**، حيث تصدق بحصاده كله بعدما حصده له فتيان قريته ولم يأخذوا عليه أجرا.

[38]_ أنظر ترجمته في: ابن الزيات: التشوف....م. س، ص **131**، ترجمة **23**.

[39]_ ابن الزيات: التشوف....م. س، ص **131**.

[40]_ ابن الزيات: التشوف....م. س، ص **145**، ترجمة **33**.

[41]_ ابن الزيات: التشوف....م. س، ص **111**.

[42]_ أنظر ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **165** - **166**، ترجمة **48**.

[43]_ نفسه، ص **165**.

[44]_أنظر ترجمته في ابن الزيات: التشوف....م. س، ص **175**، ترجمة **53**.

[45]_ ابن الزيات: التشوف....م. س، ص **175**.

[46]_ ترجمته في ابن الزيات: التشوف....م. س، ص **187**- **192**، ترجمة **62**، وقد ذكر ابن الزيات أنه توفي سنة **561**هـ، أما صاحب الأنيس المطرب فيرى أن وفاته كانت سنة **570**هـ، وترجم له صاحب الإعلام، ج **1**، ص **396**- **403**، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب...م. س، **265**.

[47]_ ابن الزيات: التشوف، ص **187**، الصومعي: المعزى...م. س، ص **75**.

[48]_ ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **193**- **194**، ترجمة **65**، المراكشي: الإعلام، ج **9**، ص **73**.

[49]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **193**.

[50]_أنظر ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **241**- **244**، ترجمة **96**، المراكشي: الإعلام، ج **3**، ص **59**.

[51]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **241**.

[52]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **242**.

[53]_ أنظر ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **248**، ترجمة **100**، المراكشي: الإعلام...م. س، ج **10**، ص **206**.

[54]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **248**.

[55]_ التشوف...م. س، ص **274**.

[56]_ ابن بشكوال: الصلة ... ج **2**، ص **602** – **603**.

[57]_ ابن بشكوال: الصلة ...، ج **1**، ص **64**.

[58]_ ابن بشكوال: الصلة ...، ج **1**، ص **71**.

[59]_ ابن الأبار: التكملة ...م. س، ج **1**، ص **196**.

[60]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **215**- **216**، ترجمة **77**، الصومعي: المعزى...م. س، **68**.

[61]_ ابن قنفذ: أنس الفقير...م. س، ص **25**.

[62]_ ابن قنفذ: أنس الفقير...م. س، ص **25**، الصومعي: المعزى... م. س، ص **69**- **70**، ووردت هذه الفكرة أيضا في الصفحة **185**.

[63]_ ابن الزبير: صلة الصلة، م. س، القسم الرابع، ص **38**، ترجمة **50**، نفسه، القسم الأخير عني بنشره ليفي بروفنصال، ص **37**، ترجمة **52**.

[64] _ أنظر نماذج من ذلك لدى ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة... ق 1، ص 137، ترجمة 213، ص 180، ترجمة 232، ص 185، ترجمة 240، ص 264، ترجمة 344، ابن الأبار: التكملة...م. س، ج 3، ص 313، ترجمة 905.

[65] _ صلاح خالص: إشبيلية في القرن الخامس، بيروت 1965، ص 64.

[66] _ عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6- 8هـ / 12-14م)، دار الطبيعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 2008، أنظر الصفحة 261 وفي مواضع مختلفة خاصة في الفصل الرابع من الباب الثاني. والغريب في الأمر أن الباحث يرى أن "ضغط النوائب والفواجع التي ألمت بالمغرب والأندلس، كان لها النصيب الأوفر في حدوث نقلة نوعية في العمل الاجتماعي. فانتقل التصوف السني من فكرة الانزواء والخلاص الفردي، إلى مشاركة الناس محنهم وآمالهم ومساعدتهم على تجاوزها" نفسه، ص 261، ويضيف قائلا إن تصوف المرحلة غلب عليه الاتجاه الاجتماعي، ويستشهد بدراسة محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 414، ودراسة عبد الهادي البياض تهم الفترة الممتدة من القرن السادس الهجري إلى القرن الثامن، وهنا يقع في التعميم. صحيح أن التصوف في العصر المرابطي "غلب" عليه الدور الاجتماعي كما هو الحال في عصر المرينيين، فكان من الأجدر بالباحث الاستشهاد بدراسة متخصصة في عصر المرابطين، وراجع أيضا حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي مصر، 1970، ص 486.

[67] _ ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م س، ص 222 - 225، ترجمة 78، المراكشي: الإعلام...م. س، ج 8، ص 46.

[68] _ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 223، ترجمة 78، ابن قنفد: أنس الفقير...م. س، ص 23.

[69] _ التميمي: المستفاد....م. س، ص29، ترجمة 2، الصومعي: المعزى...م. س، ص 134. التشوف...م. س، ص 222، ترجمة 77، الصومعي: المعزى...م. س، ص 134. ولعل تأثير هذه النقطة أي الإطعام، هو مادفع أبا الحسن اليوسي في معرض بسطه لقضية إطعام الطعام بالزوايا إلى الاستشهاد بنموذجي أبي يعزى وأبي محمد عبد الخالق الدغوغي، أنظر كتاب المحاضرات: تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1976، ص 132– 133.

[70] _ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 215، الصومعي: المعزى...م. س، ص 117.

[71] _ ابن الزيات: أخبار أبي العباس السبتي، ضمن كتاب، التشوف...م. س، ص 454.

[72] _ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط 2، دار المعارف، القاهرة 1955، ج 1، ص 107.

[73] _ ابن سعيد المغربي: المغرب...م. س، ص 107.

[74] _ ابن العريف: مفتاح السعادة...م. س، ص 29.

[75] _ ابن قنفد: أنس الفقير... م. س، ص 109.

[76] _ إبراهيم القادري بوتشيش: "الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصري المرابطين والموحدين مساهمة في دراسة الفكر الاجتماعي للبلدان المتوسطية" ضمن كتاب: جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية خلال العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، سلسلة الندوات 2، 1991، ص 103- 104- 106- 107، نفسه: المغرب والأندلس...م. س، ص 140- 141- 142- 143- 144- 149، نفسه، " واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي..."، م. س، ص 37، الحسين بولقطيب: كرامات... م. س، ص 77.

[77]_ أنظر: ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 274، ترجمة 120، ص 117، ترجمة 17، التميمي: المستفاد...م. س، ص 64، ترجمة 12.

[78]_ مانويلا مارين: ممارسات المسلمين الدينية في الأندلس بين القرنين الثاني والرابع الهجريين الثامن والعاشر الميلاديين، م. س، ص 1226.

[79]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 104، ترجمة 10. وعن المناخ في المغرب والأندلس في العصر الوسيط يقول أحد الباحثين: "طبع مناخ المغرب والأندلس التساقطات بعامل الندرة عموما، مع الإقرار بتفاوت توزيعها الجغرافي وتدرجها من المحيط غربا إلى المناطق الداخلية وانتهاء بالمناطق الشرقية. هذا التفاوت يخضع لتأثير الامتداد العرضي للتضاريس، وكذا لاتجاه الكتل الهوائية، فضلا عن البعد والقرب من المسطحات المائية. فالمناطق المنفتحة على المحيط الأطلسي تستقبل كتلا هوائية رطبة، وتتلقى كميات مهمة من التساقطات، ثم تتقلص هذه الكمية باتجاه الداخل والشرق، وتكاد تنعدم في الأقاليم الجنوبية. هذه العناصر الفاعلة تتحكم لا محالة في كمية التساقطات، إلا أن ضعف توازنها وعدم انتظامها نتجت عنه كوارث طبيعية مازالت أخبارها محفوظة في مصادر الفترة المدروسة" عبد الهادي البياض: "الموارد المائية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط: بين التصنيف الفلاحي والتوزيع الجغرافي" مجلة دعوة الحق، ع 392، السنة الحادية والخمسون، جمادى الأولى 1430هـ/ ماي 2009م، ص 81.

[80]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 124، ترجمة 19.

[81]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 138، ترجمة 26.

[82]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 218، ترجمة 77، ابن قنفذ: أنس الفقير... م. س، ص 23، التميمي: المستفاد... م. س، ص 32- 33، ترجمة 2، الصومعي: المعزى...م. س، ص 128.

[83]_ ابن بشكوال: الصلة...م. س، ج 2، ص 520.

[84]_ انظر ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 89- 90، ترجمة 5، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب... م. س، ص 123، وانظر أيضا عمر بن حمادي: الفقهاء في عصر المرابطين...م. س، ج 1، ص 67- 74.

[85]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 89- 90، وقد كان الناس يقصدونه للتبرك به، الناصري: الإستقصا...م. س، ج 2، ص 70.

[86]_ ترجمته في التميمي: المستفاد ...م. س، ص 194، ترجمة 90.

[87]_ التميمي: المستفاد ...م. س، ص 90.

[88]_ انظر ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 140- 141، ترجمة 29.

[89]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 141- 142.

[90]_ انظر ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 234- 235، ترجمة 88.

[91]_ نفسه، ص 235.

[92]_ ابن الزبير: صلة الصلة...م، س، القسم الرابع، ص 24، نفسه القسم الأخير بتحقيق ليفي بروفنصال، 24، ترجمة 32.

[93]_ انظر ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 254- 257، ترجمة 106.

[94]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 255. وهناك نماذج أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ابن قنفذ: أنس الفقير...م. س، ص 58.

[95]ـــ والغريب في الأمر أن أحد الباحثين ربط لجوء الناس واعتقادهم في بركة الولياء في العصر المرابطي نتيجة لتأثرهم بالفكر الغزالي وكتابه الإحياء؟! إبراهيم القادري بوتشيش: الحياة الاجتماعية في المغرب...م. س، ج 1، ص 319.

[96]ـــ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م. س، س 8، ق 2، ص 545، ابن الزبير: صلة الصلة، م. س، ج 4، ص 24.

[97]ـــ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس ...م. س، ص 139. وللمزيد من التفاصيل حول التيارات السائدة في العصر المرابطي أنظر: د. إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس ...م. س، ص 130- 140.

[98]ـــ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس ...م. س، ص 139.

[99]ـــ هذا ما يفسر حكم ابن رشد على مذهبه بأنه يقوم على قاعدة "الوجود ينفعل بالجود" أنظر ابن الزيات: أبي العباس السبتي...نشر كذيل على كتاب التشوف...م. س، ص 454.

[100]ـــ ابن الخطيب: أعمال الأعمال في من بويع قبل الإحتلام في ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنصال، تحت عنوان: تاريخ إسبانيا الإسلامية، دار المكشوف، بيروت 1956، ص 249- 250، حيث يقول ابن الخطيب: "كان ابن قسي مشرفا بشلب من عمل إشبيلية إلى أن أظهر [زهدا] وتصدق بجميع ماله".

[101]ـــ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 158، ترجمة 43.

[102]ـــ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس...م. س، ص 140.

[103]ـــ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 322، ترجمة 162، التنبكتي: نيل الابتهاج...م. س، ص، 194، ترجمة 204، الصومعي: المعزى...م. س، ص 141- 142.

[104]ـــ التميمي: المستفاد...م. س، ص 122، ترجمة 42.

[105]ـــ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 172، ترجمة 51، وأنظر رواية مشابهة في المصدر نفسه، ص 342، ترجمة 174.

[106]ـــ الصومعي: المعزى...م. س، ص 66.

[107]ـــ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 273، ترجمة 120.

[108]ـــ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 85، ترجمة 2.

[109]ـــ نفسه، ص 137، ترجمة 26.

[110]ـــ انظر ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، 156- 157، الشراط: الروض العطر الانفاس...م. س، 266- 271، التميمي: المستفاد...م. س، ص 186- 189.

[111]ـــ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 157، ترجمة 41.

[112]ـــ أنظر مثلا ترجمة الفرار وقصة المربط الذي عَثر عليه في الميضأة، التميمي: المستفاد...م. س، ص 142- 143، ترجمة 56. وكذلك حرص الحاج الملاح على أموال الزكاة التي كان يكلفه أحد التجار بتوزيعها ولا يأخذ منها لنفسه شيئا على الرغم من حاجته الشديدة لها. نفس المصدر السابق، ص 64 – 65، ترجمة 12.

[113]ـــ أنظر ترجمة أبي زجرا في التميمي: المستفاد ص 80 – 81، ترجمة 20. حيث يصفه التميمي بأنه "أهل النسك والعبادة والكرم والإحسان إلى الناس" ص 80. ويمثل الشيخ أبي العباس بن الطوال نموذجا مثاليا فيما يخص الإحسان. يقول التميمي أنه " كان كثير الإحسان إلى الناس لايأتيه أحد يسأله في شيء إلا أعطاه، إن كان محتاجا للسلف أسلفه على حاله وإن كان فقيراً أسلفه على الفتح ؛ وربما جاء لأبي العباس من ذلك الباب فيلقى ذلك الفقير فيقول له: قد قضى الله عنك ما عليك، ومن كان صاحب

سبب أسلفه على ذلك السبب" التميمي: المستفاد... م. س، ص 157، ترجمة 66. وكان الشيخ إبراهيم بن يغمر "كثير النفع للناس يتصرف في حوائجهم [...] ويقضي حاجاتهم" نفسه، ص 102، ترجمة 34.

[114]_ كان الشيخ أبي الحسن الحايك "كثير الشفقة على إخوانه وعلى عامة أهل الإسلام"، التميمي: المستفاد، ترجمة 6، ص 51.

[115]_ ترجمة أبي عبد الله القصري الذي جبر يد حمار كانت قد انفكت له، التميمي: المستفاد...م س، ص 158- 159، ترجمة 67. وترجمة أبي سعيد الحبشي وقصة الوحش، ترجمة 75، ص 169- 170، وكذلك لم يقبل دراس بن إسماعيل أن يأكل من بقل خبيز حمل على ظهر حمار إكْتُري من صاحبه ليحمل عليه حملا من الطعام فقط، المستفاد، ص 182– 183، ترجمة 82. وعن دراس بن إسماعيل أنظر ترجمته في المستفاد...م. س، ص 180- 183، ترجمة 82، ابن أبي زرع: روض القرطاس...م. س، ص 37، ابن فرحون: الديباج المذهب...م. س، ص 116، التنبكتي: كفاية المحتاج...م. س، ج 1، ص 205، الجزنائي: زهرة الأس...م. س، ص 20– 22، الشراط" الروض العطر الأنفاس...م. س، ص 49- 52، الضبي: بغية الملتمس، م. س، ص 251.

[116]_ العزفي: دعامة اليقين... م. س، ص 41.

[117]_ ابن مريم: البستان... م. س، ص 112، وانظر رواية مشابهة لدى يوسف بن اسماعيل النبهاني: جامع كرامات الأولياء، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوه عوض، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، 1991، ج 1، ص 460.

[118]_ ابن مريم: البستان... م. س، ص 112.

[119]_ العزفي: دعامة اليقين... م. س، ص 41.

[120]_ العزفي: دعامة اليقين...م. س، ص 41- 42.

[121]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 241، ترجمة 96.

[122]_ نفسه، ص 242.

[123]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 452.

[124]_ ابن الزيات: التشوف، ص 130، ترجمة 22، الصومعي: المعزى...م. س، ص 77.

[125]_ الصدفي: السر المصون...م. س، ص 59، ترجمة 6.

[126]_ نوارة شرقي: الحياة الاجتماعية في الغرب الاسلامي في عهد الموحدين (524- 668هـ/ 1126- 1267)، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2007- 2008، (نسخة مرقونة)، ص 246.

[127]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م، س، السفر، 5، ق، 1، ص 381، ترجمة 638.

[128]_ من بين الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع – حسب حدود علمنا – دراسة إبراهيم القادري بوتشيش: القيم الإنسانية في الممارسة الصوفية خلال القرن 6هـ قيم الخير والإحسان نموذجاً " ضمن ندوة من ابن برجان إلى أبي إسحاق البلفيقي، جوانب من التواصل الفكري بين المغرب والأندلس، منشورات، كلية الآداب مراكش، عدد 12، 1995، ص 31- 40.

[129]_ ابن الزيات: التشوف.م. س، ص 131، ترجمة 23.

[130]_ تجدر الإشارة إلى أن رجال التصوف كانوا ينعتون المال بعدة أوصاف شنيعة منها "أوساخ الناس" أنظر ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 247، ترجمة 90، وكذلك "بالشياطين "، نفسه، ص111، ترجمة 13.

[131]_ إبراهيم القادري بوتشيش:ت المغرب والأندلس... م. س، ص **148**. وقد ذكر ابن الزيات أن رجلاً ذهب إلى السوق ومعه درهم فسأله أحد المتسولين فَهَمَّ بإعطائه قيراطاً وإنفاق القيراط الآخر، لكنه رده إلى جيبه، فرآه أحد المتصوفة وعلم بقلبه أنه امتنع عن الصدقة فأمره بدفع القيراط إلى المتسول!؟ أنظر التشوف ... م س، ص **288**. ترجمة **130**.

[132]_ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس ...م. س، ص **139**.

[133]_ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس ...م. س، ص **139**.

[134]_ أنظر نماذج من ذلك في: التشوف...م. س، ص **123**- **124**- **250**- **254**- **169**- **238**، وكذلك ابن القاضي، جذوة الاقتباس...م. س، ج **1** ، ص **334 – 335**.

[135]_ ابن الأبار: الحلة السيراء، م. س، ج **2**، ص **197**، ابن الخطيب : أعمال الأعمال....م. س، طبعة دار المكشوف، ص **250**، الصومعي: المعزى...م. س، ص **232**، إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس ...م. س، ص **139**.

[136]_ ابن الزيات: أخبار أبي العباس السبتي...م. س، ص **454**.

[137]_ ابن الأبار: الحلة السيراء، م. س، ج **2**، ص **203**.

[138]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **246**، ترجمة **99**.

[139]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **183**، ترجمة **59**.

[140]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **153**، ترجمة **38**.

[141]_ ابن الزبير: صلة الصلة، م. س، ج **4**، ص **157**، ترجمة **320**.

[142]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص**151**، ترجمة **35**.

[143]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **165**، ترجمة **48**.

[144]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص، **216**، ترجمة **77**، وكان يقول في هذا الصدد : "ما أصنع بالطعام ونبات الأرض يغنيني عنه"! ؟ نفسه، ص **216**، مع العلم أنه كان يرفض" مشاركة الناس في مأكلهم ومشربهم" الصومعي: المعزى...م. س، ص **33**.

[145]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **242**، ترجمة **96**.

[146]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **24**.

[147]_ ابن قنفذ: أنس الفقير...م. س، ص **25**.

[148]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **454**.

[149]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **241**، ترجمة **96**.

[150]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **452**.

[151]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص، ص**131**، ترجمة **23**، وترجمة **122**، ص **275**.

[152]_ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **147**، ترجمة **34**، الصومعي: المعزى...م. س، ص **78**.

[153]_ نفسه، ص **294**، ترجمة **139**.

[154]_سيتم التطرق إلى هذه النقطة أي علاج المرضى في موضع آخر من هذا البحث.

[155]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص **196**، ترجمة **94**، ابن القاضي: جذوة الاقتباس...م. س، ج **1**، ص **180**، ترجمة **141**.

[156]_ هذا المتصوف هو عبد الله البناء، التميمي: المستفاد...م. س، ص **143**، ترجمة **57**.

[157]_ أنظر ترجمته في التميمي: المستفاد...م. س، ص 46 - 47، ترجمة 4، ابن القاضي: جذوة الاقتباس...م. س، ص 562.

[158]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 46، ترجمة 4.

[159]_ رغم أن ابن العربي كان من المعارضين للتصوف فإننا أدرجناه هنا لأنه مال إلى الزهد في آخر حياته، سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، م. س، ص 155. فقد ألف في الزهد كتاب سراج المريدين، يقول عنه محمد السليماني أنه كتاب "ذو نزعة زهدية سلفية خالصة" أبو بكر بن العربي: قانون التأويل، م. س، ص 141، وقد لخص فيه "قواعد علم التربية والسلوك (التصوف) أحسن تلخيص، وحرر مسائله أحسن تحرير، مع الكشف عن دقائق أغراض التصوف، وخفي مقاصده ولطيف إشاراته ومكنون أسراره" أبو بكر بن العربي: قانون التأويل، م. س، ص 143. ويعده الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش من كتب التصوف، إبراهيم القادري بوتشيش: الحياة الاجتماعية في المغرب، ج 1، ص 318، وقد أكد لي أستاذي مصطفى بنسباع أن هذا الكتاب لا علاقة له بالتصوف أبدا. وكتاب سراج المهتدين وكتاب مراقي الزلفى وكتاب العقد الأكبر للقلب الأصغر وكتاب تفصيل التفضيل بين التحميد والتهليل، أنظر عمار طالبي: آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، م. س، ج 1، ص 75- 76- 77، أبو بكر بن العربي: قانون التأويل، م. س، ص 140- 144، سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، م. س، ص 157- 158. ويضيف الدكتورعمار طالبي "ورغم معارضة أبي بكر بن العربي للرهبنة وللتصوف الفلسفي الشديدة، فإنه مال نظريا على الأقل إلى العزلة" عمار طالبي: آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، م. س، ج 1، ص87، وفي موضع آخر يقول: "والواقع أن ابن العربي لم ينكر الزهد من أساسه، ولم يعرض عن قراءة تلك المعاني الجميلة التي يقرأها أصحاب الإشارات في ثنايا الآيات القرآنية. بدليل أنه نقل في تفسيره (أحكام القرآن وقانون التأويل) كثيرا من هذه الأشياء" عمار طالبي: آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، م. س، ج 1، ص 210، ويضيف سعيد أعراب "والواقع أن ابن العربي – وإن تتلمذ لشيوخ التصوف كالغزالي وأضرابه، وصحب العباد والزهاد، وفضل العزلة والانقباض عن الناس- لفساد الزمان، فقد كان سنيا، وعالما سلفيا، لا يحيد عن الشريعة قيد أنملة... وتبدو على بعض مؤلفاته نفحة صوفية، ولكنها- في جوهرها- من سير الزاهدين، وآداب الصالحين" سعيد أعراب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، م. س، ص 156.

[160]_ الذهبي: سير أعلام النبلاء، م. س، ج 20، ص 200، المقري: نفح الطيب... م. س، ج 2، ص 28. ولا غرو في ذلك فقد كان من الميسورين في ذلك العصر حسب الذهبي: سير أعلام النبلاء، م. س، ص 200.

[161]_ محمد الأمين بلغيث: دولة المرابطين بالأندلس...م. س، ص 104.

[162]_ أنظر ترجمته في: التشوف...م. س، ص 135- 139، ترجمة 26.

[163]_ نفسه، ص 137.

[164] أنظر ترجمته في: التشوف...م. س، ص 269، ترجمة 117.

[165]_ نفسه، ص 269.

[166]_ أنظر ترجمته في المستفاد...مس، ص 141- 142، ترجمة 30.

[167]_ تافرنت: معناها : مؤنث الفُرْنْ، والأرجح أنها بتافْرْنْتْ وهو إسم مكان شائع، ومعناها المكان المختار أو المتميز، أنظر التشوف...م. س، ص 141، الهامش 202.

[168]_ ابن الأبار: التكملة... م. س، ج 2، ص 313، ترجمة 905.

[169]_ أبو بكر بن العربي: قانون التأويل، م. س، ص 95.

[170]_ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس...م. س، ص 138.

[171]_ ابن عبد المالك: الذيل والتكملة...م. س، ج 6، القسم الثاني، ص419، ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 323، ترجمة 162.

[172]_ الصومعي: المعزى... م. س، ص 66- 224.

[173]_ الصومعي: المعزى... م. س، ص 34، ورغم هذا فإننا نجد أن المتصوف أبو عبد الله التاودي يقول بهذا الصدد: "أبو يعزى هو رجل صوام قوام تواب لكنه لم يشم لطريقنا غبار" ص 181، فهل هذا الكلام يقصد به أنه لم يدرك طريقة التصوف، أم أنه يقصد بذلك العلم بصفة عامة؟ من جهتي أعتقد أنه يعني بذلك أن أبا يعزى لم يكن متصوفا. وقد علق الصومعي على هذا بقوله: "يعني أن الشيخ كان أميا ولكن كان له من الله نور ساطع وبرهان قاطع على بينة من ربه في جميع تصرفاته" ص 181.

[174]_ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس...م. س، ص 138.

[175]_ الصومعي: المعزى... م. س، ص 184.

[176]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 102، ترجمة 10.

[177]_ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس...م. س، ص 138.

[178]_ ابن القاضي: جذوة الاقتباس...م. س، ج 2، ص 531، ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 322، الصومعي: المعزى... م. س، ص 140، وقد" كان في ابتداء أمره يعلم الصبيان" الصومعي: المعزى...م. س، ص 75.

[179]_ التنبكتي: كفاية المحتاج...م. س، ج 1، ص 190.

[180]_ أنظر أمثلة عن ذلك على سبيل الذكر لا الحصر في: ابن القاضي: جذوة الاقتباس...م. س، ج 1، ص 116، والجزء الثاني، ص 464، ابن خلكان: وفيات الأعيان...م. س، ج 1، ص169. ابن الأبار: المعجم...م. س، ص 139، ابن مريم: البستان...م. س، ص 300، ابن بشكوال الصلة...م. س، ج 1، ص 170_ 172_ 175_ 280.

[181]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م. س، القسم، 1، ص 264، ترجمة 344، وقد كان إماما في الزهد والتصوف حسبما يذكر المراكشي ، ن. م والصفحة.

[182]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م. س، بقية السفر الرابع، ص 171.

[183]_ ابن الأبار: المعجم... م. س، ص 16، ترجمة 14.

[184]_ التنبكتي: كفاية المحتاج... م. س، ج 1، ص 162.

[185]_ التميمي: المستفاد... م. ص 96، ترجمة 32.

[186]_ نفسه، ص 164، ترجمة 72، ص 146، ترجمة 59، وكذلك ترجمة 66- 67. (تدريس العلم)

[187]_ ابن الأبار: التكملة...م. س، ص 36، ترجمة 98، وترجمته توجد أيضا في ابن الأبار: المعجم...، م. س، 183، ترجمة 158، الضبي: بغية الملتمس...م. س، ص 135، ترجمة 308، ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد (ت 808هـ): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...، ج 4، ص 193، بيروت، 1983، ابن فرحون: الديباج المذهب...م، س، ج 2، ص 262، ترجمة 80، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964م، ج 1، ص 277، ترجمة 511.

[188]_ ابن الزبير: صلة الصلة، م. س، القسم الأخير، ص 99، ترجمة 201، وانظر أيضا ترجمته في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 228- 229، ابن القاضي: جذوة الاقتباس...م. س، ج 2، ص 468، ابن عبد الملك: الذيل والتكملة...م. س، القسم الأول، السفر الخامس، ص 208.

[189]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 165، ترجمة 73.

[190]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 69، ترجمة 15.

[191]_ نفسه، ص 180، ترجمة 82. وقد جانبت الصواب إحدى الباحثات عندما اعتبرت دَرَّاسا من أهل الأندلس فهي ترى أنه من العلماء الأندلسيين الذين نشروا العلم بمدينة فاس، فنجدها تقول: "دراس بن إسماعيل (ت 357هـ / 967م)، يكنى بأبي ميمونة، سمع من شيوخه في بلده، وسمع منه غير واحد فانتشر علمه في الأندلس، ثم انتقل إلى فاس وأصبح من أعلامها المشهورين، وحفاظ المغرب المعدودين من أهل الفضل والدين والأمانة" إيمان بنت دخيل الله العصيمي: العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة (201هـ- 897هـ/ 817م- 1492م)، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ص 58 (نسخة مرقونة).

[192]_ ابن الأبار: التكملة...م. س، ج 3، ص 24، ترجمة 73، وترجم له الضبي: بغية الملتمس... م. س، ص350، ترجمة 1013، ابن مخلوف: شجرة النور... م. س، ص 141، ترجمة 413.

[193]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 101، ترجمة 34.

[194]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة... س 8، ق 1، ص 326- 327 ، ترجمة 123.

[195]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م. س، السفر 5، القسم، 2، ص 486، ترجمة 773، ابن الزبير: صلة الصلة، القسم الأخير، ص 107، ترجمة 309.

[196]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 144، ترجمة 58.

[197]_ الضبي: بغية الملتمس...م، س، ص 293، ترجمة 893.

[198]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة... س 8، ق 2، ص 222، ترجمة 453.

[199]_ ابن بشكوال: الصلة... م. س، ج 1، ص 145، المقري: نفح الطيب...م. س ، ج 2، ص 91. وقد برع الإمام أبو علي الصدفي بالحديث وعلومه، القاضي عياض: ترتيب المدارك... م. س، ج 8، ص 193، نفسه: الغنية، م. س، ص 194، الضبي: بغية الملتمس... م. س، ص 269. وكان بجانب ذلك" عالما بالقراءات"، الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1955، ج 3، ص 1253 "إماما بالفقه"، ابن فرحون: الديباج... م. س، ج 1، ص 330، لديه معرفة بالأدب، وقد اجتهد في بث العلم ونشره سواء في مرسية، ابن بشكوال: الصلة... م. س، ج 1، ص 145، أو غيرها، ابن الأبار: التكملة... م. س، ج 1، ص 433، ج 2، ص 472، 933، نفسه: المعجم... م. س، ص 37- 53- 54- 66- 95- 102. إلى أن قتل في معركة النصارى في ربيع الأول سنة 514هـ/ 1120م، ابن بشكوال: الصلة... م. س، ج 1، ص 146. ومن حرصه على إيصال العلم إلى تلاميذه أنه أيام اختفائه عن القضاء في مرسية علم. كما أن القاضي أبو بكر بن العربي حين أقام في قرطبة فترة من الزمن أذن لتلاميذه أن يبيتوا معه في بيته، الضبي: بغية الملتمس...م. س، ص 94، وما ذاك إلا لحرصه على استغلال كل ما يملك من وقت لإفادتهم.

[200]_ ابن الأبار: المعجم... م. س، ص 53- 54- 102.

[201]_ ابن الأبار: المعجم... م. س، ص 234- 244.

[202]_ ابن الأبار: المعجم... م. س، ص 66.

[203]_ ابن بشكوال: الصلة... م. س، ج 1، ص 145.

[204]_ القاضي عياض: الغنية... م. س، 194.

[205]_ القاضي عياض: الغنية... م. س، ص **194**، ابن الأبار: المعجم... م. س، ص **80- 81**.

[206]_ ابن الأبار: المعجم... م. س، ص **312**.

[207]_ القاضي عياض: الغنية... م. س، ص **135**.

[208]_ القاضي عياض: الغنية... م. س، ص **136**، ابن بشكوال: الصلة... م. س، ج **2**، ص **591**، الضبي: بغية الملتمس...م. س، ص **94**، ابن عبد الملك: الذيل والتكملة...م. س، السفر **1**، ق **2**، ص **529**، التجيبي: برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ط الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، **1981**، ص **47- 90**.

[209]_ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج **20**، ص **200**.

[210]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص **16**، ترجمة **1**، الشراط: الروض العطر...م. س، ص **59**.

[211]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص **21**، ترجمة **1**.

[212]_ نفسه، ص **16**، ترجمة **1**.

[213]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص **16**، ترجمة **1**.

[214]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص **16**، ترجمة **1**، الشراط: الروض العطر...م. س، ص **59**.

[215]_ ابن الزبير: صلة الصلة، القسم الأخير، ص **107**، ترجمة **308**.

[216]_ ابن الزيات: التشوف....م. س، ص **273**، ترجمة **120**، ابن قنفذ: أنس الفقير...م. س، ص **30**. وهذه الخاصية نجدها كذلك لدى متصوفة العصرالموحدي أنظر: نوارة شرقي: الحياة الاجتماعية في الغرب الاسلامي في عهد الموحدين (**524- 668**هـ/ **1126- 1267**)، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، **2007- 2008**، (نسخة مرقونة)، ص **231- 232**.

[217]_ ابن الزيات: التشوف....م. س، ص **169**، ترجمة **51**.

[218]_ ابن القاضي: جذوة الاقتباس...م. س، ج **2**، ص **464**.

[219]_ ابن الأبار: المعجم... م. س، ص **312**.

[220]_ نفسه: ص **55**.

[221]_ ومما يدل على هذه المكانة السامية التي احتلها ابن حرزهم ما ورد في كتاب "أنس الفقير" لابن قنفد أن: "من أخباره أنه قدم مراكش فاستدعاه بعض أمراء صنهاجة ليقرأ عليه فأجابه إلى ذلك فجلس الأمير على السرير وجلس أبو الحسن تحته فقال له أبو الحسن: "أنا هو الذي أكون على السرير وتنزل أنت إلى مكاني وهذا من أدب المتعلم مع المعلم. فقال الأمير: نعم. فنزل وجلس أبو الحسن على السرير". ابن قنفد: أنس الفقير...م. س، ص **20**، الشراط: الروض العطر...م. س، ص **65**، حيث ينقلها الشراط عن ابن قنفد، وهو بدوره ينقلها عن ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **169**.

[222]_ ابن الزبير: صلة الصلة، م. س، ج **5**، ص **368**، ترجمة **118**.

[223]_ عبد المالك المراكشي: الذيل والتكملة...السفر الخامس، القسم الثاني م. س، ص **666**، ترجمة **1261**، ابن الأبار: التكملة...م. س، ج **2**، ص **522**. وقد كان لدخول ابن العربي على السلاطين بهذا الشكل مدعاة للطعن فيه، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج **20**، ص **201- 202**، وقد أقر ابن العربي بمداخلته لحكام زمانه، ولكنه برر ذلك بالضرورة، فهو صاحب ضياع مدفوع إلى معرفة الأمير ليدفع امتداد الأطماع إليها، وسبب آخر ذكره وهو خوفه من حساده من أهل العلم أن ينسبوه عند الحكام إلى بدعة أو تخليط" ابن العربي: قانون التأويل، م. س، **362**.

[224]_ الصومعي: المعزى...م. س، **201**.

[225]ــ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **297**، ترجمة أبو بكر بن يحيى بن محمد.

[226]ــ وهذا الأمر لم يقتصر على متصوفة العصر مجال البحث، بل إننا لا نعدم إشارات تدل على ذلك قبل العصر المرابطي بكثير، أنظر منويلا مرين: " زهاد الأندلس (**300**هـ / **912**مــ **420**/ **1029**) ضمن كتاب: الزهاد والصوفية والسلطة في الأندلس، م. س، ص **72**.

[227]ــ نتفق مع الدكتور محمد السليماني عندما قال بأن" المغاربة أخذوا يتعلقون بالغزالي شيئا فشيئا، إلى أن أصبح إمامهم في التصوف بلا منازع، يسترشدون به في المهمات، ويستنيرون به في المشكلات، حتى قال قائلهم:

أبا حامد أنت المخصص بالمجد   وأنت الذي علمتنا سنن الرشد

وضعت لنا الإحياء يحيي قلوبنا   وينقذنا من طاعة النازع المردي

وفيها ابتهاج للجــوارح ظاهر   ومنها صلاح للقلوب من البعد"

أبو بكر بن العربي: قانون التأويل، م. س، ص **63**، وانظر أيضا مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع... م. س، **87**.

[228]ــ فضائل الأنام من رسائل حجة الإسلام الغزالي، نقلا عن الصغير عبد المجيد: "البعد السياسي في نقد القاضي ابن العربي لتصوف الغزالي"، ضمن كتاب: أبو حامد الغزالي دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم: **9**، **1988**، ص**177**.

[229]ــ عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت/ القاهرة، **1983**، ص **384**، مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع...م. س، ص **87**.

[230]ــ هذا المتصوف هو أبو إسحاق إبراهيم ابن يسول الاشبيلي، أنظر ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **294**، ترجمة **139**.

[231]ــ ابن الزبير: صلة الصلة، م. س، القسم الخامس، ص **241**.

[232]ــ ابن الزبير: صلة الصلة، القسم الأخير، ص **173**، ترجمة **341**.

[233]ــ ابن بشكوال: الصلة...م. س، ج **2**، ص **398** .

[234]ــ ابن بشكوال: الصلة...م. س، ج **2**، ص **401**.

[235]ــ نتوفر على أمثلة كثيرة من هذا النوع أنظرها مثلا في ابن بشكوال: الصلة...م. س، ج **2**، ص **6**- **31**- **32**- **77**- **402**- **415**- **521**- **533**- **559**- **619**- **673**، وأيضا في ابن الزيات: التشوف...م. س، ص **217**، ترجمة **142**، الضبي: بغية الملتمس...م. س، ص **497**، ابن الأبار التكملة...م. س، ج **1**، ص **32**- **38**- **45**- **89**- **97**- **123**- **132**- **141**- **168**- **170**- **269**- **358**- **369**، وكذلك في الذيل والتكملة ..م. س، ج **1**، ص **82**- **85**- **286**.

[236]ــ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة...م. س، ج **2**، ص **269**، ترجمة **778**.

[237]ــ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة...م. س، ج **2**، ص **106**، ترجمة **263**.

[238]ــ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة...م. س، ج **4**، ص **37**، ترجمة **104**.

[239]ــ ابن الزبير: صلة الصلة، القسم الأخير، ص **176**، ترجمة **346**.

[240]ــ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة...م. س ، ج **4**، ، ص **43**، ترجمة **127**، التنبكتي: نيل الابتهاج...م. س، ص **348**، ترجمة **452**.

[241]ــ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة... م. س، ج **6**، ص **171**.

[242]_ ابن الزبير: صلة الصلة...م، س، القسم الرابع، ص 103، ترجمة 211.

[243]_ ابن الزبير: صلة الصلة...م، س، القسم الرابع، ص 167، ترجمة 334.

[244]_ ابن الزبير: صلة الصلة...م، س، القسم الرابع، ص 61، وتوجد ترجمة هذا الصوفي في: ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، م. س، ترجمة 2425، ابن عبد الملك: الذيل والتكملة...م. س، ج 5، القسم الأول، ص 127، ترجمة 242.

[245]_ لكن ابن عبد الملك المراكشي يقول في ترجمته أن له: "برنامج" ضمنه مروياته و "رسالة في الفتن والاشراط" ومصنف جمع فيه "كلام شيخه أبي العباس ابن العريف نثراً ونظماً" وآخر جمع فيه "كلام الزاهد أبي عبد الله بن يوسف السبتي ابن الآبار ورسائله وحكمه" وغير ذلك من التقاييد". ابن عبد المالك: الذيل والتكملة...م. س، ج 5، القسم الأول، ص 127، ترجمة 242.

[246]_ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة... م. س، س، ج 6، ص 182، ترجمة 498.

[247]_ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة... م. س، س، ج 6، ص 197، ترجمة 563.

[248]_ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة... م. س، س، ج 6، ص 197، ترجمة 563.

[249]_ ابن الأبار: التكملة...م. س، ج 3، ص، 21، ترجمة 64، وترجم له أيضا: ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 148، التنبكتي: نيل الابتهاج...م. س، ص 162، المراكشي: الاعلام...م. س، ج 8، ص 56. ويذكر الدكتور محمد السليماني أن هذين الكتابين موجودين بالخزانة العامة بالرباط، أبو بكر بن العربي: قانون التأويل، م. س، ص 51، الهامش 3، ويؤكد محمد السليماني أن في الكتابين المذكورين آراء باطنية، أبو بكر بن العربي: قانون التأويل، م. س، ص 51، الهامش 3. وقد أخبرني الدكتور محمد العلمي أنه يتوفر على ثلاث نسخ من كتاب "تفسير القرآن" وهي نسخ المكتبة الوطنية بالرباط ونسخة اسطنبول ونسخة برلين، وبعد اطلاعه على هذه النسخ تبين له أنها عبارة عن تفسير للقرآن بأكمله على عكس ما ذهب إليه ابن الأبار وثلة من الباحثين المعاصرين. مع العلم أنها مبتورة الأول من سورة البقرة وكذلك في النهاية. وقد أكد لي الدكتور محمد العلمي أن هذا الكتاب هو تفسير صغير لأنه لا يمت بصلة للتفسير الباطني الذي يتحدث عنه الباحثون. بل إن المطلع على هذا الكتاب ليرى أنه لا يصل إلى مكانة ابن برجان العلمية ومكانته الصوفية. فهو "مؤثرا لطريقة التصوف... وعلم الباطن متصرفا في ذلك عارفا بمذاهب الناس" ابن الزبير: صلة الصلة، م. س، بتحقيق بروفنصال، ص 312؛ وقد حققها وقدم لها الشيخ أحمد مرشد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت 2013، 5 مجلدات، بينما توجد نسخة لهذا الكتاب وهي غير النسخ التي وردت أعلاه وهي التفسير الكبير للقرآن الكريم توجد بحوزة أحد الباحثين من جامعة سان فرانسيسكو الأمريكية وهي نسخة ذات تفسير باطني للقرآن. ويعتقد الدكتور العلمي أنه التفسير الحقيقي الذي ينسب لابن برجان وذلك استنادا إلى ما قاله له صاحب النسخة التي بجامعة سان فرانسيسكو، ولم يشر لها محقق الكتاب حينما عرض النسخ المعتمدة، أنظر ج 1، ص 40 من المقدمة.

[250]_ الحسين بولقطيب: كرامات أولياء...م. س، ص 77، وإذا كانت أغلبية النماذج التي أتينا بها في غالبيتها تتعلق بمتصوفة من الأندلس فذلك لا يعني أن المغاربة لم يكن لهم حظ في العلم فابن النحوي مثلا كان عالما بأصول الفقه وعلم الكلام مع ميل إلى النظر والإجتهاد، ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة... م. س، السفر الثامن، ص 434.

[251]_ إبراهيم القادري بوتشيش: الحياة الاجتماعية في المغرب...م. س، ج 1، ص 21.

[252]_ يرى أحد الدارسين أن الدراسات المتعلقة بالمرض والمرضى في العصر الوسيط بصفة عامة تبقى نادرة جدا، فهي من المواضيع المغيبة في الدراسات التاريخية المعاصرة، بحيث لم تنل أي اهتمام أو التفات بحيث لا نجد أي دراسة في هذا الاتجاه. باستثناء دراسة الدكتور محمد حقي الموسومة بـ: الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، بني ملال، مطبعة مانبال،

2007. ولعل الحاجة إلى منهج خاص لتناوله، ونوعية المادة المتوفرة وندرتها، وانعدام التراكم المعرفي في الموضوع، ثم غياب المبادرة الجريئة، كانت وراء هذا الإحجام والإهمال التام له. محمد حقي: الموقف من المرض والمرضى...م. س، ص 32.

[253]_ محمد حقي: الموقف من المرض...م. س، ص 33.

[254]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 215، ترجمة 77.

[255]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 232، ترجمة 87، ص 237، ترجمة 91، ص 391، ترجمة 213.

[256]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 132، ترجمة 25.

[257]_ الصومعي: المعزى...م. س، ص 112. وقد أجاب ابن عاشر على أحد الأسئلة بأن كرامات الأولياء "لا تنقطع بموته، بل تظهر. فكثير من لا يعرف في الحياة تشتهر بركاته بعد الممات، وتلوح عند قبرهالبركات" ابن قنفد: أنس الفقير...م. س، ص 7، الصومعي: المعزى...م. س، ص 112.

[258]_ ابن الزبير: صلة الصلة...م. س، ج 4، ص 173، نفسه: القسم الأخير، ص 163، ترجمة 318.

[259]_ نفس المصدر والصفحة."...فأصاب الناس عليه وجع شديد، وتمسحوا بنعشه، ودفن بالبقيع المتصل بالجامع؛ وتبرك الناس بتراب قبره، فكان ينقل ويستشفى به للمرض"، نفسه: القسم الأخير، ص 163، ترجمة 318.

[260]_ ورد في ترجمته : "... وكان الناس يتبركون بقبره.

لم أَنْسَ يومَ تَهادتْ نَعْشَهُ أسفا ❖❖❖❖ أيدي الورى وتراميها على الكفنِ

كزهرةٍ تتهاداها الأكفُّ فـلا ❖❖❖❖ تقيمُ في راحة إلا على ظَعَنِ

قال أبو الحسن بن سلمون: كذلك كان هذا فإن الناس كانوا يتعلقون بالنُّطُف والسُّقُف ليدركوا النعش بأيديهم ثم يمسحوا بها وجوههم" ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...، م. س، س 5، ق 1، ص 372. وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن أخبار الحشود التي تمشي في جنائز عدد من الزهاد في كتب التراجم تكتسي قيمة رمزية تعكس القبول الذي يحظى به الزاهد في المجتمع، عندما يرحل ولا يعود بمقدوره أن يُغدق عليه بركته.

[261]_ ابن الزبير: صلة الصلة... م. س، القسم الرابع، ص 173.

[262]_ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة...م. س، س 5 ق 2، ص 152، ترجمة 396، ابن الأبار: التكملة...م. س، ج 2، ص 13، ترجمة 24.

[263]_ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس...م. س، ص 159.

[264]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 190- 191، ترجمة 86.

[265]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 20، ترجمة 1، الشراط: الروض العطر...م. س، ص 61.

[266]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 22، ترجمة 1.

[267]_ ابن قنفذ: أنس الفقير...م. س، ص 31 - 32، ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 269، ترجمة 117.

[268]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 217، ترجمة 77، المعزى... م. س، ص 135، ويضيف الصومعي" وهكذا تواتر عنه رضي الله عنه أن كل من كانت به عاهة أو علة ولمس عليها أو تفل وهو يلمسها ويدلكها بيده تبرأ في الحين" الصومعي: المعزى... م. س، ص 123.

[269]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 283، ترجمة 127.

[270]_ نفسه، ص 232، ترجمة 85.

[271]ـ ورغم أن هذه الشجرة مسمومة فإن العديد من زوار الشيخ يؤكدون بأن الشيخ كان العزفي: دعامة اليقين... م. س، ص 39، وانظر رواية أخرى في الصومعي: المعزى... م. س، 68. ويضيف علي الجاوي بأن "أوراق الدفلى وأزهارها معروفة بمرارتها وتحتوي على نسبة مهمة من السم. ولذلك فإنها غير صالحة للإستهلاك من طرف الانسان والحيوان إلا أنها تستعمل لمعالجة بعض الأوجاع والجروح الخفيفة" الصومعي: المعزى... م. س، 68.

[272]ـ العزفي: دعامة اليقين... م. س، ص 40.

[273]ـ التميمي: المستفاد...م. س، ص 37، ترجمة 2.

[274]ـ العزفي: دعامة اليقين...م. س، ص 39.

[275]ـ العزفي: دعامة اليقين...م. س، ص 45. ومعلوم أن الولي أبو يعزى كان يتحدث باللهجة البربرية حسب ما يرد في المصادر، لكن الباحث علي الجاوي يؤكد بأن الشيخ كان "يجهل اللغة العربية ولا يتواصل مع زواره إلا بواسطة كترجم" الصومعي: المعزى...م. س، ص 34، رغم أن الباحث لا يقدم دليلا على كلامه.

[276]ـ العزفي: دعامة اليقين...م. س، ص 50.

[277]ـ أنظر التميمي: المستفاد...م. س، ص 39، ترجمة 2.

[278]ـ العزفي: دعامة اليقين...م. س، ص 50- 51.

[279]ـ التميمي: المستفاد...م. س، ص 74- 75، ترجمة 17.

[280]ـ التميمي: المستفاد...م. س، ص 92، ترجمة 29.

[281]ـ الشراط: الروض العطر...م. س، ص 63.

[282]ـابن الزيات: التشوف...م. س، ص 237، ترجمة 91.

[283]ـ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 321، ترجمة 162، التنبكتي: نيل الابتهاج...م. س، ص، 194- 195، ترجمة 204.

[284]ـ أنظر ترجمته في: ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 390- 391، ترجمة 213، ابن أبي زرع: روض القرطاس...م. س، ص 272، الحميدي: جذوة المقتبس...م. س، ص 220، المراكشي: الأعلام...م. س، ج 8، ص 205.

[285]ـ ابن الزيات: التشوف....م. س، ص 391، ترجمة 213.

[286]ـ ابن الزيات: التشوف....م. س، ص 323، ترجمة 162.

[287]ـ الصومعي: المعزى...م. س، ص 120- 121.

[288]ـ الزجالي: أمثال العوام، نشر وزارة الثقافة بالمغرب، ج 2، نقلا عن محمد حقي: الموقف من المرض...م. س ص 36، هامش 19.

[289]ـ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 85، ترجمة 2.

[290]ـ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 221، العزفي: دعامة اليقين...م. س، ص 39، الصومعي: المعزى...م. س، ص 123.

[291]ـ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 137، ترجمة 26.

[292]ـ الونشريسي: المعيار المعرب... م. س، ج 2، ص 490.

[293]ـ التميمي: المستفاد...م. س، ج 1، ص 211.

[294]_عبد اللطيف الشاذلي: التصوف والمجتمع...م. س، ص 81.

[295]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 211.

[296]_ عبد الجليل لحمنات: التصوف المغربي...م. س، ص 265.

[297]_ يعتبر الشيخ أبو يعزى يلنور نموذجا لمدلول تجاوز المفارقات الفكرية بين الحاضرة والبادية.

[298]_ العزفي أبو العباس أحمد: دعامة اليقين...م. س، ص 44 " ... ولوى عنقه الشيخ الصالح أبو يعزى إلى النيام وعينهم واحد واحدا ثم أخرجهم للوضوء، وقال: تصلون على غير وضوء" ص 44، وأيضا الصومعي: المعزى...م. س، ص 117.

[299]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 26، ترجمة 87.

[300]_ ابن الزيات: مناقب أبي العباس، باب في أصول مذهبه. التشوف...م. س، ص 453، وقد أدرجناه لأنه عاصر الدولة المرابطية.

[301]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 183.

[302]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 206.

[303]_ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة... م. س، س 5، ق 1، ص 27، ترجمة 64.

[304]_ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة... م. س، س 5، ق 2، ص 667، ترجمة 1261.

[305]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 370.

[306]_ أحمد الماجري: المنهاج الواضح في تحقيق كرامات الشيخ أبي محمد صالح، طبعة مصر 1953، وقد تعذر علينا الحصول على النسخة التي قام بتحقيقها عبد السلام السعيدي لنيل د. د. ع، في التاريخ بكلية الآداب الرباط 1993- 1993، ولم نتمكن أيضا من الحصول على النسخة التي أشرف عليها الأستاذ محمد الشريف وهي بحث لنيل الإجازة في التاريخ مرقونة بكلية الآداب تطوان.

[307]_ التميمي: المستفاد... م. س، ص 94، ترجمة، 31.

[308]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 362، ترجمة 186، ابن قنفد: أنس الفقير...م. س، ص 33، الصومعي: المعزى...م. س، ص 173.

[309]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 243.

[310]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 255.

[311]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 96.

[312]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 188- 189.

[313]_ عبد الجليل لحمنات: التصوف المغربي...م. س، ص 268.

[314]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 111- 112، ترجمة أبا محمد عبد السلام التونسي، ويذكر أنه حدث عنه أنه كان بتلمسان رجل من أهل الدعارة يؤذي الناس، فشكوا به إليه فكف أذاه عنهم وتاب إلى الله وأقبل على العبادة.

[315]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 238 – 239، ترجمة 93، ص 309، ترجمة 153.

[316]_ العزفي: دعامة اليقين... م. س، ص 37- 38.

[317]_ ابن الزبير: صلة الصلة، م. س، القسم الرابع، ص 172.

[318]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 214، ترجمة 77، الصومعي: المعزى... م. س، ص 115.

[319]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 159، ترجمة 43.

[320]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 365، ترجمة 191، ص 311، ترجمة 155.

[321]_ العزفي: دعامة اليقين... م. س، ص 46.

[322]_ ابن الزبير: صلة الصلة، م. س، القسم الرابع، ص 134، ترجمة 25.

[323]_ التميمي: المستفاد...م. س، ص 143، .ترجمة 57.

[324]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 402، ترجمة 224.

[325]_ نفسه، ص 401، ترجمة 223.

[326]_ Bel (A) : Coup d‘ œil sur I‘slam en Berberie, Extrait de la revue des religions, Jan- Fev 1917 ; Paris, Ernest le Roux, p13.

[327]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 324، الصومعي: المعزى...م. س، ص 138- 161.

[328]_ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين... م. س، ص 297.

[329]_ ابن القاضي: جذوة المقتبس... م. س، ج 1، ص 358.

[330]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م، س، السفر، 5، ق، 1، ص 209.

[331]_ Alfred Bel : « Le sufisme en Occident Musulman au 12 et 13 siècle de J. C.» Annales de la Faculté des lettres d’ Alger. Paris 1935. P 161, Victorien Loubignac : « Un Saint berbere : Moulay Bouazza ; Histoire et Legende ». Hesperis, 1944 T.XXVI , Fas , unique . p.34.

[6]_ توجد ترجمة هذا الولي في عدد كبير من المصادر أنظرها مثلا في ابن قنفد: أنس الفقير... م. س، (في مواضع شتى من الكتاب إذ خصصه صاحبه، ابن قنفذ للتعريف بأبي مدين وشيوخه)، ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 319- 326، ترجمة 162، ابن الأبار: التكملة...م. س، ترجمة 2015، ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م. س، ج 4، ص 127، ابن أبي زرع: روض القرطاس، ...م. س، ص 269، ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء...م. س، ص 108- 130، المقري: نفح الطيب...م. س، ج 7، ص 136، ابن القاضي: جذوة الاقتباس...م. س، ص 530- 531، ابن فرحون: شجرة النور... م. س، ج1، ص 164، التنبكتي: نيل الابتهاج...م. س، ص 193- 199، التنبكتي: كفاية المحتاج...م. س، ج 1، ص 219، الصومعي: المعزى...م. س، ص 137 وما بعدها، يوسف بن اسماعيل النبهاني: جامع كرامات الأولياء، م. س، ج 1، ص 196.

[1]_ ابن قنفد: أنس الفقير...، م. س، ص 17، الصومعي: المعزى...م. س، ص 162. وذكر صاحب النجم "وكانت الفتاوي ترد عليه في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت" الصومعي: المعزى...م. س، ص 143، وكان" أولياء زمانه يستفتونه في المعضلات من مشكلات الطريق التي لا يفهمها الفقهاء فيجيب عنها" الصومعي: المعزى...م. س، ص 159، التميمي: المستفاد...م. س، ص 44- 45، ترجمة 3.

[334]_ ابن صعد: النجم الثاقب...م. س، ج 3، ص 85.

[335]_ التميمي: المستفاد...م. س، ج 2، ص 102، ترجمة 34.

[336]_ التميمي: المستفاد...م. س، ج 1، ص 213.

[337]_ فقد ألف متصوفة العصر المرابطي العديد من الكتب سواء منها المتعلقة بالعقيدة أو الزهد والتصوف مثل ابن برجان الذي ألف كتابين: تفسير القرآن وشرح الأسماء الحسنى، ابن الزبير: صلة الصلة: القسم الأخير، اعتنى بتصحيحه وتعليق الحواشي، الأستاذ ليفي بروفنصال، الرباط 1937، ص 32- 33، وهما لايزالان مخطوطين، وألف عبد الله الصوفي كتاب المنتقى من كلام أهل التقى، بينما ألف أحمد ابن صعد بن عيسى كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم. أنظر: ابن الأبار: التكملة...م.

س، ج 1، ص 61. وبخصوص الكتب التي ألفها متصوفة العصر المرابطي نذكر منها: مؤلفات ابن برجان: الإرشاد والإشارات، وشرح أسماء الله الحسنى، والإلهام، أنظر ابن الزبير: صلة الصلة م. س، تحقيق ليفي بروفنصال، ص 32، ترجمة 35 ، وألف ابن العريف: محاسن المجالس، وكتاب مفتاح السعادة وتحقيق طريق الإرادة، وقد تم تحقيقهما ونشرا، أما مطالع الأنوار ومنابع الأسرار، فهو في حكم المفقود، أنظر المقري: نفح الطيب...م. س، ج 7، ص 497، بينما ألف أبو الحسن بن غالب: كتاب الاعتبار، وكتاب الأيام والحجب، وكتاب اليقين، أنظر ابن عبد الملك: الذيل والتكملة... م. س، سفر 5، قسم 1، رقم 415، ص 209، وألف ابن الإقليش كتاب: الغرور من كلام سيد البشر، وألف الخراط أبو محمد الإشبيلي كتاب التوبة وكتاب معجزات الرسول وكتاب الصلاة والتهجد بينما ألف أبو العباس أحمد بن الصقر السرقسطي كتاب أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار، وألف ابن قسي كتاب خلع النعلين.

[338]_ ابن عبد المالك: الذيل والتكملة...م. س، ج 5، القسم الأول، ص 205.

[339]_ ابن عبد المالك: الذيل والتكملة...م. س، ج 5، القسم الثاني، ص 583 - 584.

[340]_ ابن بشكوال: الصلة...م. س، ج 2، ص 397.

[341]_ نفسه، ص 448 - 449.

[342]_ نفسه، ص 513.

[343]_ ابن الزبير: صلة الصلة...م، س، القسم الرابع، ص 172، ابن عبد المالك: الذيل والتكملة...م. س، ج 5، القسم الأول، ص429- 430، ابن الأبار: التكملة...م، س، ج 4، ص 43- 44.

[344]_ ابن عبد المالك: الذيل والتكملة...م. س، ج 5، القسم الأول، ص429.

[345]_ابن الزبير: صلة الصلة، م. س، القسم الخامس، ص 376، وترجمته توجد في: ابن عبد المالك: الذيل والتكملة...م. س، ج 5، القسم الثاني، ص 582- 583، ترجمة 1151.

[346]_ الصومعي: المعزى...م.س، ص 143

[347]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م. س، السفر، 5، القسم، 2، ص 486- 487، ترجمة 773.

[348]_ نفسه، ص 483- 484.

[349]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م. س، السفر، 5، القسم، 2، ص 205، ترجمة 406.

[350]_ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة...م. س، السفر، 5، القسم، 2، ص 210- 211، ترجمة 415.

[351]_ محمد بن إبراهيم: جهود علماء الأندلس... م. س، ص 138.

[352]_ ابن الزيات: التشوف...م. س، ص 324.

[353]_ ابن القاضي: جذوة المقتبس... م. س، ج 1، ص 358.

[354]_ منويلا مرين: زهاد الأندلس (300هـ / 912م_ 420/ 1029) ضمن كتاب: الزهاد والصوفية والسلطة في الأندلس، م. س، ص 76.

[355]_ عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية...م. س، ص 275- 276، نفسه: "تجليات المقاربة الوسيطية في منهج التكافل الاجتماعي لمتصوفة مغرب العصر الوسيط"، ضمن كتاب: التصوف السني في تاريخ المغرب، نسق نموذجي للوسطية والاعتدال، تقديم وإشراف: د. إبراهيم القادري بوتشيش، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، 27، الدار البيضاء، 2010، ص 233.

[356]_ هذا إذا استثنينا ثورات المتصوفة أواخر الدولة المرابطية بغرب الأندلس بزعامة ابن قسي.